٩

من مدرسة أهل البيت

العالم الشيخ

# أحمد إسماعيل

( الرقمة )



محمود عبد الرحمن
آل عباس سلمان

من مدرسة أهل البيت عليهم السلام

العالم الشيخ أحمد إسماعيل

/الرقمة/

من مدرسة أهل البيت عليهم السلام

# العالم الشيخ

# أحمد إسماعيل

/الرقمة/

تأليف

مَحْمُود عَبْد الرَّحْمَن

آل عبَّاس سَلْمَان

توزيع

مكتبة شاكر

طرطوس - سورية

هاتف : [illegible]

[illegible]

[illegible]

فاكس : [illegible]

جوال : [illegible]

هذه صورتي تمثل شخصـــي عقب تسعين حجة من حيـاتي

عشتها كالتنزيل ما لي فيهـــا للبقا غير سيرة مـــن معـاني



أخلـــف رسمـــي بعـــد مـــوتي إلى هيئتي من جاء يطلب صورتي

وأودع أشعاري صحائف دفتري ليشهد راويها غداً محض خطـــتي

وأودع أصحابي وأهلي وجـــيرتي تحية إخلاصـــي لأعـــلام ملـــتي

# مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المصطفى الأمين محمد سيد المرسلين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، سادات الأولين والآخرين، الذين بولايتهم ومودتهم يكمل الدين، ونُعَد من المؤمنين.

وبعدُ: لقد نظر الإسلام إلى العلم والعلماء نظرة إكبارٍ وتقديسٍ، وحضَّ على طاعتهم، وبيَّنَ منزلتهم، وفرَّقَ بينهم وبينَ غيرهم، وجعلهم سادةً وقادة. والغرائز البشرية مجبولة على تعظيم العلماء وتوقيرهم وطاعتهم واحترامهم ، لأن فضل العلماء على الناس كفضل الروح على الجسد، والماء على الأرض الميتة، والنور على الأماكن المعتمة.

قال الإمام الهادي/ع/: «**لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا عليه السلام من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحدٌ إلا ارتدَّ عن دين الله**».

واليوم تفتقدُ الأمة عالماً من هؤلاء العلماء الكبار، الذين كانوا دعامةً من دعائم الإسلام، ومرجعاً من مراجع الدين، يُرجَع إليه في المعضلات، وتُحلُّ على يديه كبار المُشكلات.

في هذه الأيام تفتقد أمتنا عالمها الكبير الشيخ الجليل أحمد إسماعيل(قدس سره) /الرقمة/ الذي هزَّ فقده أركان الأمة، وخلّفَ حزناً عميقاً في قلوب محبيه ومريديه، عزاؤنا الوحيد فيه قول رسول اللهﷺ: « **العالِمُ حيٌّ وإنْ ماتَ** ».

لذلك فقد رأيتُ من واجبي أن أُسرعَ في تقديم دراسة مبسطة للقارئ الكريم ليطلع على جزء من سيرة هذا الشيخ الجليل، فذهبتُ إلى منْزله والتقيتُ بابنه الشيخ إسماعيل أحمد إسماعيل(دام ظله) الذي رحب بالأمر كثيراً، خصوصاً وأن والده ليس من رجال الدين التقليديِين، بل يُعدُّ من مصاف العلماء الكبار ذوي الأبحاث والدراسات المعمقة.

وقد تفضَّلَ عليَّ الشيخ إسماعيل(دام ظله) وأتحفني بكل ما أحتاجه من مراجع مما يتعلق بتراث والده المغفور له.

فقمتُ بإعداد هذه الدراسة المتواضعة، والتي تبين جزءاً يسيراً من سيرة المقدس الشيخ أحمد إسماعيل(قدس سره)، وكل أملي

أن تؤدي الغاية المرجوة منها، وأن تبين جانباً من شخصيته العظيمة.

وليعلم القارئ أني في جميع دراساتي التي أعددتها عن هؤلاء العلماء لم أدَّعِ أن هذه الدراسات تحليلية شاملة كاملة، وإنما هي من الدراسات التعريفية، والتي غايتها إلقاء الضوء على جوانب من شخصية معينة، من خلال ما وصل إلينا من قول أو فعل كريم في أي مجال من مجالات الفكر والأخلاق والدين والحياة. تاركاً التحليل للمختصين.

لقد قمت في الفصل الأول بالتحدث عن سيرة العالم الشيخ أحمد إسماعيل قدس سره.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن دراساته وأبحاثه التي أعدها في مواضيع شتى.

وفي الفصل الثالث عرضت بعضاً من مقالاته التي نشرها في مجلة العرفان، ومراسلاته مع علماء الإمامية.

وفي الفصل الرابع عرضتُ نموذجاً من أشعاره.

وفي الفصل الخامس بينت مكانة الشيخ رحمه الله في قلوب الناس وإلى أي حد أثر رحيله عنهم وذلك من خلال المراثي التي قيلت فيه.

أرجو أن أكون قد وُفقت فيما قدمته، وأسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى كل خير وعمل صالح.



# الفصل الأول

## قراءة في سيرة

## الشيخ

## أحمد إسماعيل

## قراءة في سيرة الشيخ أحمد إسماعيل

أولُ ما نستفتحُ به ذكر البيت الذي نما وترعرع فيه الشيخ الجليل أحمد إسماعيل قدس سره، وهو البيت الطاهر الذي لا يطلع منه إلا الطهر والأدب ومحاسن الأخلاق، أعني به بيت الشيخ إسماعيل محمد قدس سره /الرقمة/ الذي يرجعُ نسباً إلى أمير الموحِّدين وقطبُ العارفين المكزون السنجاري قدس سره، ولعمري إن هذه النسبة لمن أشرف النسب وأعلاها، وأرفعها وأرقاها، فالشيخ إسماعيل قدس سره من سر العنصر الكريم، ومعدن الشرف الصميم. أصل راسخ، وفرع شامخ، ومجد باذخ. ولنعرف أولاً مَن هو الشيخ إسماعيل محمد قدس سره من قول ابنه الشيخ أحمد إسماعيل قدس سره الذي عرَّفَ عن والده بهذه الخلاصة:

## الشيخ إسماعيل محمد /الرقمة/

« ولد الشيخ إسماعيل محمد في قرية الرقمة ١٣٠٦ هجرية، وتوفي والده التقي الورع الشيخ محمد عيسى سنة ١٣١٨هجرية، فبقي الوالد الشيخ إسماعيل وعمره يومئذٍ اثنتا عشرة سنة فقط بدون راعٍ وبغير مربٍّ ولا موجه إلا الله سبحانه، وكان وحيداً لأبيه، وعلى ما حدثني رحمه الله أن أبيه

الذي كانت خطته التقوى والعبادة وكرم الأخلاق وحسن المعاملة للناس وتأدية الواجبات الدينية كالصوم والصلاة وتغسيل الأموات والصلاة عليهم ..الخ كان له قيمته في البيئة التي عاش فيها، إلا أنه ما كان لديه من الكتب إلا القليل ..

وقد بقي الولد وحيداً ــ كما ذكرنا ــ ينظر إلى الحياة وإلى المستقبل بنظر من لا يعلم شيئاً عنهما، ووقف حائراً في أمره متفكراً في مصيره ومستقبله، وبعد إدمان التفكير الطويل هيأ الله سبحانه له الاتجاه الصحيح نحو الدين، فأخذ يستعير الكتب من هنا وهناك، ويكتب البعض منها، ويقرأ ويحفظ لحاله بدون أي مرشد أو مفقه أو مشجع، فجمعَ منها ما جمع، وتابع القراءة بها ليلاً ونهاراً بجدٍّ ونشاط وغيَّبَ البعض منها، فبدأ فهمه ينمو ويتزايد شيئاً فشيئاً، وثابر على ذلك طيلة حياته.

وكان شغله الشاغل القراءة في كتب أهل التوحيد خاصة، وأداء صلوات الأوقات الخمس في حينها، وصوم شهر رمضان والتعبد فيه ليلاً نهاراً مع من أحب مشاركته في ذلك من المؤمنين. وكان مركّزاً على قراءة القرآن صباح كل يوم طيلة حياته، مع التوسل لله عزَّ شأنه بأدعية الإمام زين

العابدين/ع/، وبعد اشتكال نظره في أواخر حياته ما كان يرضى إلا أن يُقرأ عليه صباح كل يوم جزء من القرآن الكريم ودعاء كل يوم للأيام السبعة من الأدعية المذكورة وغير ذلك، حتى إنه ما كان يرضى إلا أن يُقرأ له في كتب التوحيد يومياً، هذا كان ديدنه وخطته حتى توفاه الله لرحمته تعالى. وكان فهمه وعلمه في التوحيد واسعاً ومقدراً بين العلماء الموحدين، لكن لم يخلف وراءه من الآثار إلا بعض الأشعار... قلنا أنه نشأ على الفطرة التي فطره الله عليها، وقد شبَّ وشاخَ وتوفي عليها بدون التواء، ومع هذا فقد كان شديد الحرص على دينه لحدٍ كبير، مقاوماً الشذوذ في الأخلاق لأبعد الحدود، صارماً صادعاً بالحق مهما كان الموقف حرجاً، وكثيراً ما لاقى من الألاقي في سبيل توجيه أبناء قريته وبيئته نحو النهج القويم والسلوك الصحيح، وإقصائهم عن الحرام بكل مجاريه، وكم وكم جابه المتمسكين بالباطل وشدد عليهم النكير، ولم يكن ذلك منه لغاية يتوخاها ويتمناها إلا الهدى والإصلاح وردع الناس عن كل رذيلة ودفعهم إلى كل فضيلة، ولم يأل جهداً في كل حياته عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد

كُتب له النجاح وساعده الحظ في أكثر مواقفه الخيِّرة، وقد أصبح الكثير من الناس يخشونه وبالأخص أصحاب النقائص نظراً لموقفه الديني الصلب وتشدده بالحق، وقد اتسع اسمه وكبرت قيمته في المجتمع الديني لما عُرف عنه أنه لم يتخذ ذلك السلوك وسيلةً للدنيا، بل كله لله وفي سبيل الله، والشاهد على ذلك أنه لم يكن جوالاً ولم يكن متكسباً ولا طماعاً ولا حريصاً ولا متاجراً في الدين ولا في الدنيا ولا مرائياً في عمله، وقد قضى حياته كلها لم يبع ولم يشتر شيئاً من الأملاك ولا الأراضي، ملتزماً بيته راضياً بالقليل من الدنيا لا يطلب إلا ستر الحال ــ وكان له ذلك ــ فقد عاش ومات سعيداً في دينه ودنياه لا بالغني المكثر ولا بالفقير المعسر، بل بين بين، ولا إفراط ولا تفريط، وكلا طرفي كل الأمور ذميم. وقد توفاه الله لرحمته تعالى نهار السبت الواقع ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ هجرية الموافق ٥ نيسان سنة ١٩٨٠ ميلادية في الساعة الحادية عشر إلا عشر دقائق عن عمر جاوز التسعين عاماً، وقد شيعَ جثمانه الطاهر إلى مثواه الأخير نهار الأحد في موكب كبير وعظيم جداً، وقد أبَّنه ساعة الدفن ثلة من الأدباء

والشعراء وأثنوا عليه بالثناء الجيد، ضاعف الله ثوابهم. وكان دفنه حوالي الساعة الثانية بعد الظهر في القبة التي أُعدت له في مسقط رأسه ومقر حياته من المهد إلى اللحد في القرية المذكورة /الرقمة/ وموقعها غربي مصياف مسافة خمسة عشر كيلو متراً، تغمَّده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين»

ومن هذا البيت العظيم بيت الشيخ إسماعيل محمدقدّس، بيت التقى والإيمان والزهد والعلم ومكارم الأخلاق، طلعَ علينا الأديب اللامع والعلَم البارع ذي الصيت الذائع الشيخ أحمد إسماعيلقدّس، الذي كانت سيرته نسخةً منتسخةً عن سيرة آبائه وأجداده العِظام، وهذه نبذة عن سيرته:

## الشيخ أحمد إسماعيلقدّس

**نسبه** : هو الشيخ أحمد بن الشيخ إسماعيل بن الشيخ محمد بن الشيخ عيسى بن الشيخ جمال الدين بن الشيخ علي بن الشيخ سليمان بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ داوود /بطاره/ بن الشيخ موسى /الحريفات/ بن الشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم /كلبو/ بن الشيخ محمد /الريحان/ بن الشيخ جمال /بشمان/ بن الشيخ سلمان /الرويس/ بن الشيخ يوسف

/متور/ بن الشيخ عبد الله /متور/ بن الشيخ يوسف علي /نبع أبي قبيس/ بن الشيخ كوكب بن الشيخ حسن بن الشيخ موسى بن الشيخ أحمد القاضي بن الشيخ موسى الربطي /قلعة أبي قبيس/ بن الشيخ محمد القاضي بن الشيخ كوكب بن الشيخ مبارك /في ساقة الريحان/ بن الشيخ يوسف بن الشيخ نجم الدين بن الأمير حسن بن يوسف بن محمود بن مكزون السنجاري الممتد بنسبه إلى محمد بن رائق الغساني (قدَّسَ الله أرواحَهُم جميعاً).

ولد الشيخ أحمد إسماعيلﷺ عام ١٣٢٩هـ في اليوم الخامس من شباط شرقي في قرية الرقمة، وفي سنة ١٣٣٥هـ درسَ قسماً من القرآن الكريم على يدي أحد المعلمين القرويين، وما بقي منه على يدي والده الشيخ إسماعيلﷺ. والشيخ إسماعيلﷺ كما هو معلوم لدى الجميع يعود له كبير الفضل على العلويين بسبب العلاقة التي كانت تربطه بثقة الأمة ووارث الأئمة العلامة الأوحد الشيخ سليمان الأحمدﷺ وما أنتجته هذه العلاقة من علمٍ غزير فتحَ أبواب المعرفة الحقة لكل الأجيال القادمة.

وفي عام ١٣٤٢هـ سلّمه والده إلى العلامة الشيخ معلا ربيع(ق)[1] ليُكمل تعليمه العلوم الدينية، ولما بلغ أشده أخذ ينقب في روايات أهل البيت(ع) وكتب السادة الموحدين، وظلَّ مواظباً على الدرس والحفظ والتنقيب حتى عام ١٣٥٢هـ فبدأ بدراسة اللغة العربية التي لم يكن يومئذٍ في محيطه من يعلم منها شيئاً إلا ما ندر، فبادر إلى اقتناء كتبها وشرعَ في مطالعة مبادئها، وكان كلما مرَّ لزيارتهم من يعلم مبادئ اللغة يستوضح منه الشيخ أحمد(ق) ما تعلّمه، أما الفضل الأكبر فكان لعلامة الأجيال الأوحد الشيخ سليمان الأحمد(ق) الذي كان يزور الشيخ إسماعيل(ق) في منْزله أو الشيخ إسماعيل(ق) يزوره، مما هيأ للشيخ أحمد(ق) فرصةً للاستفسار عن كل ما يريد معرفته.

---

(١) **الشيخ معلا ربيع(ق)** : هو معلا بن ربيع بن حسن بن بركات بن إسماعيل بن الشيخ حسن سلطانة، ولد في قرية الدالية /١٢٩٧/ وبعد /١٤/ سنة انتقل إلى قرية البيرة في محافظة حماه، وهو عالم حافظ للقرآن الكريم، نبغ في علم التوحيد وكان تقياً زاهداً، وله أشعار متداولة وألف الكثير من كتب العرفان .

وقد عبّر الشيخ أحمد إسماعيل رحمه الله عن فضل العلامة الأوحد الشيخ سليمان الأحمد رحمه الله عليه وعلى الأمة بقوله:

| | |
|---|---|
| يا حجـــة الله في الـــدنيا ورحمتـــه | على البرية لا شـــحت أياديكـــا |
| صحبتَ دهركَ والآمـــالُ عابســـةٌ | والناس فوضى فلم تسمع نواهيكا |
| وكم تحمَّلتَ من أعبـــاء ضـــائرة | لو لم تمتْ بني الإيمـــان أهليكـــا |
| أضحى نبوغك يا مولاي مفخـــرةً | وعبرةً لـــبني الـــدنيا مباديكـــا |
| فاهنأ بنهضتك الكبرى فما برحت | أبناء جيلك والأجيـــال ترويكـــا |
| من الخرافات والأوهام منتصـــفٌ | بعد النضال بعـــون الله باريكـــا |
| وراية النصر والفتح المبين غـــدت | يُمنـــاكَ تحملـــها والله كاليكـــا |

**لمحة إلى بعض صفاته:** في هذه المرة لا أريد أن أتكلم عن الشيخ رحمه الله وصفاته مما سمعته وقرأته فحسب، بل مما شهدته وعاينته وخبرته بنفسي، صحيحٌ أن الشيخ رحمه الله من علماء القرن الفائت، إلا أن عمره الطويل الذي قارب المائة سنة قد هيأ لي أن أتشرّف بلقائه والتعرف عليه من قرب، وكان لذلك اللقاء كبير الأثر في نفسي، ولكن كيف لي أن أصفَ عظمة هذا الشيخ الجليل وبهائه وعلمه وتقاه وورعه بالمحابر والأوراق؟

فإن استطعت أن أسطر أقواله في الصحائف، فأنى لي أن أنقل مشاعر الهيبة والوجل التي تنتاب جليسه إلى نفس القارئ؟ وأي لغةٍ تلك التي يجب أن أستعملها حتى تبرز المعنى المقصود؟ أهي من لغات الإنس أم من لغات الجن؟ صحيحٌ أن كل من رآه وأنا منهم لا نطلبُ أثراً بعد عين، ولكن ماذا نقول لمن لم يتشرف برؤية كماله؟ حتماً سنجد أنفسنا مرغمين على وصفه بجزءٍ من صفاته لعجزنا عن الإحاطة والإدراك، وعجزنا عن الإدراك لا يمنعنا عن وصفه بقدر الاستطاعة، "وما لا يُدرَك كله لا يُترك كله"، و"الأعمال بالنيات"، وأحتسب عند الله عملي هذا.

أقول وبالله التوفيق: لقد كان الشيخ رحمه الله علَماً علامة، وإماماً تُشد إليه الرحال من كل أنحاء البلاد، لم يكن له في العلماء مثيلٌ أو شبيه، بل كان عمدتهم وركنهم وقبلتهم وقدوتهم ووجهتهم. لقد كان بحر العلم الزاخر وبدر العلماء الزاهر، وكوكبهم اللامع ونبراسهم الساطع، والذي يُرجَع اليه في المشكلات ويُستَصبَح بضوئه في المعضلات، ولا غرو أن يغمر فضله وهو نجل الصيد الأكارم، أو يغزر علمه وهو فيض

البحور الخضارم، لقد استبطن دخائل العلم، واستجلى غوامضه، وخاض عبابه، وغاص على أسراره، وأحصى مسائله، واستقرى دقائقه، واستخرج مخبآته، ومحص حقائقه، ووقف على أغراضه، وجمع أشتاته، واستقصى أطرافه، وأحاط بأصوله وفروعه، وقد جمع الحفظ الغزير، والفهم الصحيح، والأدب القوي القويم. ما كان يؤنسه عن الوحشة إلا الدفاتر، ولا تصحبه في الوحدة إلا المحابر. كلامه يملك القلوب ويستعبدُ الأسماع، تتمثَّلُ البلاغةُ في كل فقرةٍ من فقرهِ، وتتجلى الفصاحةُ في كل لفظٍ من منطوقهِ، ويتبارى معناهُ ولفظهُ إلى الأفهام، وتكادُ تدركه الأفهام قبل الأسماع. له جوابٌ لا يُقطَع، وبديهةٌ لا تُعارَض. يمتلك الفكر العميق، والرأي الوثيق. فلا يخمر الرأي ويجيله، ويجيد الفكر ويطيله، حتى يحصل على لب الصواب ومحض الرأي كأنه ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق، ويطالعه بعين الإلهام والتوفيق.

لقد كان الشيخ ﷼ رحب الصدر، بعيد الأناة، وقور النفس، لا يُستنْزَل عن حلمه، ولا يُزدهف[1] عن وقاره، فإن أخطأ معه أحد في القول أو الفعل لم يؤاخذه وتغمَّد جهله بحلمه، وتلقى هفوته بطول أناته، واحتمل جنايته بسعة صدره، وبسطَ على إساءته جناح عفوه. يرجع إلى نفس أمارة بالخير، بعيدة من الشر، مدلولة على سبل البر.

لقد كان الشيخ ﷼ أوحد في الكرم، بل هو الكرم أُنشئ نفساً، والفضل تمثل شخصاً. ولو أن البحر مدده، والسحاب يده، والجبال ذهبه، لقصرت عما يهبه. بحر لا يظمأ وارده، ولا يمنع بارده. غوثه موقوف على اللهيف، وعونه مبذول للضعيف. ينابيع الجود تتفجر من أنامله، وربيع السماح يضحك عن فواضله.

هذا ولم أتكلم إلا بلسان الإجمال، ولو أردتُ أن أتكلم بلسان التفصيل وذكر الحوادث والقصص والأخبار وما

(١) يستخف.

شهدته بنفسي، لملأت عشرات المجلدات من أخبار علمه وجوده وفضله.

ففي أوائل أيلول عام ٢٠٠٨م وفي اليوم التالي لصدور كتابي عن علامة الأجيال الشيخ سليمان الأحمدقدس توجهت إلى الرقمة لأهدي كتابي إلى العالم الشيخ أحمد إسماعيلقدس، فاستقبلني بحفاوة، وما إن عرضت عليه الكتاب حتى تهلل وجهه بالفرح والسرور، وقبل أن يقرأ كلمة واحدة قال لي: وفقك الله لقد قمتَ بعمل مهم بإحياء ذكر علامتنا، **فمن أرَّخَ مؤمناً فقد أحياه**. ولما قرأت له بعض المواضيع ازداد ترحيبه، وقال: سأكلف ولدي إسماعيل بتقريظ الكتاب نيابةً عني، وذلك بسبب حالتي الصحية. وبعد ذلك أخذ الشيخ أحمد إسماعيلقدس يسرد لي القصص والأخبار والروايات والعلوم والمعارف التي تلقّاها من العلامة الأوحد الشيخ سليمان الأحمدقدس ، ويحكي لي عن زياراته التي كان يزوره ووالده المقدس الشيخ إسماعيلقدس في قريتهما الرقمة . ثم بدأ يتحسر على أوضاع شعبنا وما آلت إليه أحوالهم من تشتت وضياع بسبب غياب المرجعية، خصوصاً وأنه مَن خريجي

مدرسة العلامة الشيخ سليمان الأحمدقدس سره التي زرعت بذور النهضة وشكلت نواة لمرجعية، وأكد لي أن واقعنا غير مرضٍ وأنه لا بد للعلماء من مبادرة لعلاج هذه الأوضاع، وأكد لي أنه لا بد من تأسيس مرجعية تنظم أمورنا كباقي شرائح المجتمع ويكون لها الكلمة الفصل فيما يستجد من أمور على جميع الأصعدة، وأن يكون لها الحق في الدفاع عن نقاء الإسلام وتصفيته من الشوائب وفي تعيين أئمة المساجد وتشكيل لجنة لفحص رجال الدين وتعيينهم. وكان أكثر ما يقلقه انتشار البدع وشيوع الجهل، وأكد لي أنه لم يوفر مناسبة إلا وحذر فيها من هذه الأوضاع وطالب العلماء باليقظة والحذر والعمل على رأب الصدع قبل أن تتسع شقته، وقبل أن أغادر ضيافته قرأ لي قصيدة قال فيها:

**أين الحماة حماة الـدين في زمـني ... وناصروه برغم المـارق الأشـر**

**أين الهداة ومن بالعهد ما نكثـوا ... وبالعقود وفوا في حالك العصـر**

**هبوا لنصـرة ديـن الله واتحـدوا ... يا عصبة الحق فالتوحيد في خطر**

وفي نهاية اللقاء ودعته ورجوته أن يجيب على أسئلتي إذا ما اتصلت به هاتفياً، وفعلاً لم يتردد في إجابتي على الهاتف

ونفذت كل توجيهاته ونصائحه، وفي آخر اتصال مع فضيلته قلت له يا سيدي سأكتب عنك دراسة، صمت برهة ثم قال: انتظر.. انتظر. وفهمت من ذلك أنه موافق، وما هي إلا أيام قلائل وفُجعنا بخبر انتقاله إلى الرفيق الأعلى، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.



# الفصل الثاني

## دراسات وأبحاث

## الشيخ أحمد إسماعيل

## دراسات وأبحاث الشيخ أحمد إسماعيل

لقد كان الشيخ أحمد إسماعيل ﷺ عالماً بحاثة، له العديد من الدراسات والأبحاث في مجالات مختلفة، فقد كتب في التاريخ والفلسفة والتوحيد والاجتماع واللغة .. ناهيك عن دراساته التي أعدها في مسائل عقائدية كالقضاء والقدر والاستطاعة والجبر والتفويض .. وما قام به من دراسات تأريخية أرخ فيها لكثير من العلماء المؤمنين، وما كتبه من ردود دفاعاً عن العلويين وعقيدتهم، مبرئاً إياهم مما وصمهم به الحاقدون الذين يسعون إلى تفرقة الأمة بأكاذيبهم وأباطيلهم .. فكان سيفاً قاطعاً لألسنة أولئك العابثين. ولا يُستغرب ذلك عن قلمه، فالشيخ أحمد إسماعيل ﷺ كان من نخبة الكُتاب المجيدين ومن الكتبة المعدودين، ومن أجرى الكُتاب قريحة، وأغزرهم مادة، وأطولهم باعاً، وأوسعهم مجالاً.

وفي هذا الكتاب سنورد دراستين تُعدان من أهم الدراسات التي أعدها الشيخ أحمد إسماعيل ﷺ، والتي يتبين فيها سعة اطلاعه، وغزارة علمه، وقدرته على التحقيق والتنقيب:

الأولى عنوانها: ( **كلامٌ مع من يعقل** ) وقد كتبها الشيخ ﷺ رداً على من قال إن الأمير المكزون ﷺ لم يتزوج!

ومعلومٌ لدى الجميع ما هي الغاية من مثل هكذا افتراءات، يريدون أن ينتقصوا من كبار علماء العلويين الذين يرجع نسبهم إلى المكزون السنجاري ﷺ، لكي يُلغوا فضيلةً من فضائلهم، وعلى رأس أولئك العلماء علامة العصر الأخير الإمام الشيخ سليمان الأحمد ﷺ، الذي حارب الجهل والبدع والخرافات والأوهام، والذي أراد أن يُطبق الإسلام على أصوله، والذي لاقت دعوته إقبالاً كبيراً، وحققت نجاحاً باهراً، فسحق جيوش الجهل والأوهام وحده، وحطمَ أصنامهم، فما كان منهم إلا أن يعبثوا بالتاريخ، فأتوا لينتقصوا من قيمته بعدما خلت الساحة من الفرسان، فإذا بالشيخ أحمد إسماعيل ﷺ يطلع عليهم كالليث الهصور، فأخرجَ ما كان غائباً من حقائق، وأيَّدَ رأيه بالأدلة النقلية والعقلية، واستشهد بأقوال كبار العلماء والمؤمنين والمتقين الذي لا يُشك في صدقهم، فحُقَّ لدراسته هذه أن تُصنف في عداد الدراسات التاريخية العظيمة، مع العلم أن الشيخ ﷺ اعتمد في نقله على

ذاكرته، وأكد أنه لو أراد التوسع لملأ الأسفار بالأدلة القاطعة، وليُعلم أن هذه الدراسة لمن أعمى الله بصيرتهم، وإلا فإن علماء العلويين قاطبةً مجمعون على أن المكزون قدس سره قد تزوج وأنجب.

أما الدراسة الثانية فهي تحت عنوان: ( **ذكريات الماضي ونغمات الحاضر** )، وهي طويلةٌ جداً، اقتطفنا منها ما يتسع لهذه العجالة، وفي هذه الدراسة قام الشيخ أحمد إسماعيل قدس سره بتأريخ حقبة زمنية قلَّ من أرخ لها في كتاباته، فقد كان الشيخ أحمد إسماعيل قدس سره شاهد عيان على عصورٍ تتالت، عاصر في أولها العثمانيين في أوائل القرن العشرين، وختمها في القرن الواحد والعشرين، فوصف المراحل السابقة بأدق التفاصيل، ولم يترك صغيرة أو كبيرة إلا وذكرها ووصفها حتى كأنه رسمها، ثم قام بمقارنات بين الماضي والحاضر، وكيفية التطور وتسارعه، وكيف شمل هذا التطور جميع النواحي اجتماعية كانت أم أخلاقية أم علمية .. أم .. أم ..الخ، فكانت هذه الدراسة بحق يتيمةً لا نظير لها فيما كُتب عن تلك الحقبة.

ولا نطيل بل نترك للقارئ المجال للتمعن بهاتين الدراستين، والاستفادة منهما، والله ولي التوفيق.

## بسم الله تعالى ومنه نستمد العون

## كلامٌ مع من يعقل[1]

أيها الأخوة المتقولون: إن المكزون ما تزوّج ولم تكن له ذريةٌ أبداً. فهذا ما سمعنا به مراراً ونُقل إلينا عنكم تكراراً، ولم نعقب عليه بكلمةٍ، إلا أننا نقول في سرنا: لا عجب ولا عتب على الأرمد أو فاقد البصر إذا أنكر ضوءَ الشمس في رائعة النهار. والآن فقد آن لنا أن نقول كلمتنا لكم في هذا الصدد بدون تحفظ وبغير جدل، ولكم بعد ذلك شأنكم فيما تتقولون. ونحن نعلم علماً يقيناً إن للحق أنصارٌ وأعوانٌ وللباطل أنصارٌ وأعوانٌ في كل آن وزمان، فكونوا في هذه القضية مع من شئتم. نحن وإياكم أيها الأخوة على اختلافٍ كبير في هذا القول البعيد عن المعقول والمنقول، والعاري عن

---

(١) من جديد قرأتُ طعناً بحق المكزون لأحد الكتبة المعاصرين المنحرفين عن سواء السبيل يقول: "إن المكزون أصله كردي والشيخ سليمان أحمد عربي" والغاية من ذلك لا تخفى على ذوي الفهم. (منه قدس سره)

الصحة، وفي نظرنا لا يقره عقل عاقل بصير يرى الأشياء على صحتها ويتدبر الحقائق بروية وحسن طوية ويتجرد من الهوى المردي والعصبية النكراء التي تودي بصاحبها إلى المنقلب السيئ والمنزلق الخطر. وبصورة موجزة بسيطة ضمن المعقول والمنقول نتحدث معكم قليلاً بكل هدوء وسكينة، مبتعدين عما يوخز الضمائر ويكدر الخواطر:

المكزون كما تعلمون أيها الأخوة قد مضى عليه ثمانية قرون تقريباً، وهو مَن هو لدى العموم من أرباب العلوم الروحية، وبلا شك وبدون مبالغة فقد قلّ نظيره في الأمة منذ عهده إلى يومنا هذا. هذا ما نرى ونقول وإن سخط زيدٌ أو غضب عمرو، والدليل على ذلك لدينا بيِّنٌ وواضح في ديوانه الذي لا يغادر قمةً من قمم الآداب إلا رقى مستواها وبلغ ذروتها، ولا علماً من العلوم الدينية العظمى والحكم البالغة الكبرى والحجج الدامغة القاطعة وغيرهن إلا قرع بابه وولج مستقرهُ وسبرَ غوره واستخلص حقيقته، ولا يخفى ذلك على المنصفين من أهل العلم الذين يتمتعون بالقسط الأوفر من

الفهم الصحيح والأدب الرفيع والعلم الغزير، ولا ينكر ذلك إلا من كانت على بصره وبصيرته غشاوة ما.

المكزون حقاً لا يُجارى في أكثر العلوم التي سبر غورها واستوعب أصولها وفروعها وحقائقها ودقائقها، ولا يجهل ذلك إلا من لم يتذوق طعم العلم الأسمى ولم يشم رائحة الأدب الأعلى، وبالحقيقة فهو غنيٌّ عن التعريف.

هذا قولنا وهذا حديثنا مع المسالم بالحق منكم ومن غيركم، ولا حديث لنا مع المكابر المجادل بالباطل، وكلامنا أيضاً هذا مع من يعقل، ولا كلام لنا مع من لا يعقل، وما لنا وللمكابر الذي قال عنه المكزون قدّس :

**من كابر البرهــان في بحثــه فــذاك لا يُحســب إنســانا**

ولولا الحقد المتوارث والظلم المتواتر والعزلة التي مُني بها العلويين المعرفة قديماً بالنصيرية من وعن عامة الأمم وشعوب العالم الأرضي من قديم الزمن حتى يومنا هذا ١٤٢٠هـ لطار ذكر المكزون في آفاق العالم الإنساني، وحلّقَ اسمه في سماء العلوم الجوهرية الأرضية بأعظمها وأكثرها، وبرز شعره

وفلسفته في عداد الطليعة الأولى بين شعراء العرب الأفذاذ وفلاسفة العالم أجمع.

هذا هو المكزون في عُرفنا وعُرف كل أديب وعالم وفيلسوف نشأ بعده في العلويين من أهل الإنصاف والعرفان، وبدون أن نتقصى الأخبار ونشرح الطويل العريض عن المظالم التي مرَّت على العلويين أو مرَّت بها من قبل الطوائف وشعوب العالم عامةً وما لاقت من الألاقي التي لا تُحد ولا توصف وما تابعها من الذيول الغاشمة السيئة التي قضت قضاءً مبرماً على شهرة علماء وأدباء وفلاسفة العلويين منذ القديم كالمكزون وغيره وما لهم في جوهر الحقيقة عند الغيار إلا كما قال المكزون قدس سره:

**ومـــا لنـــا إلا موالاتنـــا لآل طـــه عنـــدهم ذنـــب**

فلنا أيضاً أن نقول: إن المكزون كان عظيماً في منصبه ونفسه وسلطانه وأمته حقاً وصدقاً، وكان أميراً وتحت إمرته خلقٌ كثير وجمٌّ غفير، ولو لم يكن هكذا لما استنجدوه أبناء جبلنا ــ المعروف قديماً بجبل النصيرية والآن يُعرف بالجبل العلوي أو الجبال العلوية ــ واستغاثوا به لأجل إنقاذهم من

براثن الظلم المتحكم بهم. وبكل سرعة لبى دعوتهم وأجاب نداءهم ولم يتقاعس ولم يتباطأ عن نجدتهم وإغاثتهم. وعلى ما سمعت وقرأت أنه جاء مرتين لهذا الخصوص: الأولى كانت سنة ٦١٨هـ ، والثانية ٦١٩هـ، وكما قيل وثبتَ تاريخياً إنه في المرة الأولى لم يتمكن من بلوغ الغاية التي جاء لأجلها، وقد رجع إلى "سنجار" بلده البعيد، ووطد العزائم وعدل القوى في العدد والعتاد ورجع مرة ثانية فاقتحم مواطن الطغاة البغاة في ذلك الجبل بقوة وعظمى وعزيمة لا تغلب، فبدد شملهم ومزقَ جمعهم وشرد أكثرهم من بلادهم وعن ديارهم وحقق النصر المؤزر والغاية المنشودة التي جاء لأجلها وهي دفع الظلم عن إخوانه المؤمنين وأبناء جلدته القابعين في هذا الجبل من قديم الزمن، وذلك ما ذكره المؤرخون، ويا لها من حميةٍ دينيةٍ صرفة، وما أجلّها وأعظمها، عارية من كل المطامع التي تصبو إليها نفوس الغزاة والفاتحون عادةً ويتوخونها ويسعون لأجلها ويتفانون في طلبها وبلوغها طمعاً بالمكاسب والمناصب الدنيوية المحضة فقط.

وبحكم العقل أيها الأخوة، إن المكزون لم يكن آنئذٍ صوفياً متخلياً عن كل الملذات الطبيعية الدنيوية الضرورية التي أباحها الله لخلقه عامة وفطرهم عليها منذ بدئهم وإنشائهم، وقد عبّرَ عنها هو نفسه وأشار إليها بمحكمٍ من القول السديد الذي يوحي بإثبات ما نقول وإبطال ما تزعمون وتتقولون.

وإليكم قوله البين الصريح الواضح في ذلك:

**لَيسَ زُهدُ الفَتى بِتَحريمِ حلٍّ ... من نكاحٍ ومطعمٍ وشرابِ**

**وَارتباطٍ بِالرُبطِ أَو بِاعتِزالٍ ... في جِبالٍ وَلا بِرَقعِ ثِيابِ**

**بَل بِقَصدٍ فيما أُحِلَّ وَزُهدٍ ... في حَرامٍ وَرَغبَةٍ في ثَوابِ**

هذا هو المكزون في قوله ورأيه وشرعه وطبعه وفعله، لا كما تقولون، ولم يقل هذا لغيره دون نفسه، وهل من المعقول؟ إن من كان له هذا الدور الكبير والسلطان العظيم القائل هذا القول المحكم البليغ الصريح الواضح إنه تخلى عن الملذات الحسية التي أحلَّها الله لعباده بدون استثناء وبحكم الشرع الشريف لا يؤثم عليها متخذها ولا يؤجر المتخلي عنها؟

وباختصار نقول: إن المكزون قد تزوّج وأعقب ذرية ذكرها المؤرخون إن شئتم أو أبيتم وإن جهلتم أو تجاهلتم، وسواء لدينا إن صدقتم أو كذبتم، لأننا نحن على بينةٍ فيما نقول، ولدينا الدليل الثابت الواضح القاطع وسنأتيكم في بيانه وصحته وتفصيله فيما يلي، ولا نبالي برفضكم وعدم قبولكم لما نقصهُ عليكم من الحقائق الثابتة، والرفض باللسان من أسهل ما يكون على الإنسان، ولكن التكذيب للحقائق وأهلها صعبٌ جداً عند ذوي الوجدان والإنصاف ومن ورائه إثمٌ كبير عند الله. وبالحقيقة فكل قول يحتاج إلى دليل ثابت، وإذا عدم الدليل بطل العمل به، وعلى هذا فالمرجو منكم إذا كان لديكم دليل واضح وصحيح ثابت لتأييد أقوالكم ومزاعمكم ونحن في غفلة عنه أن تتفضلوا وتتكرموا به علينا، فنحن وايم الله طوع البرهان والحق والدليل الصحيح الثابت بدون جدل وبغير جحود، هذا وإن عجزتم عن إقامة الدليل الثابت فاعقلوا وتدبروا ما ترونه من الحقائق الثابتة قريباً، وعساه يكون مقبولاً لديكم ومرضياً لكم، ولا تنسوا أنكم مسؤولون عما تتقولون أمام الله، لأن فيه طعن ذميم وانتقاص جسيم في حق المئات

من العلماء الكبار والفقهاء الأخيار وأصحاب الكرامات الأبرار من أهل الولاية الصادقة الذين ينتسبون إلى المكزون، وما قولكم أن المكزون ما تزوج ولم تكن له ذرية إلا وصمة عار وذل وشنار تريدون إلحاقها وإلصاقها عمداً وقسراً بكل من ينتمون إلى المكزون، وفي ذلك ما فيه عند ذوي البصائر والعقول، ومن ورائه حساب طائل عند الله.

وهل تجدون أيها الأخوة أحداً في العالم الأرضي الإنساني يُعرَف ويُعتبَر في نظر الناس يرضى أن يكون لصيقاً هجيناً لا يَعرفُ أصله ولا شرفه؟ تعالوا معي واسمعوا قولي لأخبركم أنه بوسعي لو أردت التوسع في البحث والنقل من هنا وهناك من الأقوال التي تحبط أقوالكم وتدحض مزاعمكم لكان بذاته كتاباً ضخماً، ولكنني رأيت أن أكتفي باليسير الذي يغني عن الكثير، ومن ذلك ما أحيلكم عليه ومطالعته بجدٍ وإمعان ورويَّة إن أردتم لأن في نقله طول، ومثله أو أقل منه ما أضعه الآن بين أيديكم ونصب أعينكم لتكونوا في ذلك على بصيرة، وعسى أن يكون فيه دواء لمرضكم، فأما ما أحيلكم عليه أولاً وعلى مطالعته لتستدلوا به على الصحيح ولا يعدل بكم عن

سواء السبيل وعساه يسعى بكم نحو الرشد ويؤوب بكم لله الهدى والصواب:

فمنه ــ تاريخ العلويين لغالب الطويل.

ومنه ــ تاريخ الشيخ يونس رمضان.

ومنه ــ تاريخ أسعد علي معرفة المكزون.

ومنه ــ تاريخ حامد حسن عن المكزون.

فإنكم ستجدون فيها الأدلة القاطعة الكافية التي تقطع عليكم الطريق وتبطل مزاعمكم الخاسئة وتقضي على أقوالكم المريبة التي منها قولكم إن المكزون ما تزوج ونسبة بيت النميلي وغيرهم له باطلة فارغة ما لها حقيقة ولكنها دعاءات كاذبة لأجل المفاخرة والشهرة الجوفاء بين الطوائف والعشائر. ومثلها لا بل أسوأ وأقبح منها بكثير قول بعضكم أو أشباهكم من جديد: (إن المكزون مجرم). هذه بعض أقوالكم السرية والعلنية التي وصلتنا عنكم وعن من كانوا قبلكم وعليها شهود صدق عدة والله قبيلكم على ذلك.

وإن سيتم أو غاب عنكم أيها المتقولون ما قاله المكزون فنحن لن ننسى ولنا أن نذكركم لعلمنا أن الذكرى تنفع المؤمنين بما قاله نهياً وذماً لمن يفتخر بغيره وهذا بعضه:

**وإن أشر النــاس ذمــاً لنفســه إذا افتخروا من بالرفاة له الفخــر**

**تبــاً لمــن أصــبح في تقصــيره عن العلى يفخر بــالعظم النخــر**

**وشــــــاهدٌ بنقصــــــه مـــــن بســـــواه يفتخـــــر**

وبعد هذا فلنا أن نسألكم ونقول لكم: هل برأيكم وذمتكم بعد سماعنا وقراءتنا لهذا القول الجازم المحكم الوارد عن المكزون نجيز لأنفسنا نحن بيت النميلي عامةً ما ليس لنا بذي حق ولا بذي صدق ونكون أشر الناس ذماً لأنفسنا والشاهد علينا يكون نقصنا؟ وهل بنظركم ورأيكم أيضاً فات كل العلماء الذين نشأوا في بيت النميلي من عصر المكزون إلى يومنا هذا معرفة الصحيح، وكلهم يجهلون نسبهم الحقيقي، وأنتم أدرى وأعلم به منهم؟ وفوق هذا فهل عندكم أنهم كلهم يستحلون الكذب على الله وعلى الناس وعلى التاريخ؟

وأنهم نسوا قول الله تعالى: ﴿ **قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ** ﴾[1]، (أي الكذابون)، وقول النبيﷺ: « **الكذب حيض الرجال** » وقول الإمام الأعظم/ع/: « **الكذب مجانب الإيمان** »؟ وهل جهلوا قول الله تعالى: ﴿ **لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ** ﴾[2] وبعد هذا قولوا فينا وفي نسبنا ما شئتم، وإن كنتم تحسبونه هيناً فهو عند الله عظيم.

فعلى هونكم أيها الأخوة وعلى رسلكم، نحن نربأ بكم أن تكونوا دعاة سوء، دعاة زور، دعاة تكذيب لأهل الحق والصدق والإيمان والوجدان والعرفان، وعن قصدٍ متعمد وغاية سلبية تحاولون طمس الحقائق واختلاق الأشياء التي لا تمت إلى الحق والصدق بصلة ما، وكما تعلمون وتعتقدون فنحن وإياكم في الدين إخوة، ولا يخفاكم أن المؤمن أخو المؤمن لأبٍ وأمٍ، وغن بعدت لحمته، فكيف بنا وإياكم والبعض منكم تجمعنا وإياهم في الحقيقة لحمةٌ طبيعية واحدة

---

(١) ( الذاريات : ١٠ )

(٢) ( الأحزاب : ٨ )

سنجارية المنبت والأصل وإن تجاهلوها وتخلوا عنها ونبذوها وراءهم ظهرياً واتخذوا عنها بديلاً ما لهم به أدنى صلة طبيعية البتة، وفيكم ومنكم أيضاً من قفز بنسبه قفزةً بهلوانية الشكل مغايرة الأصل منقطعة الحبل، فكان بها كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. وبجدٍ وصدق أتمنى أن تصغوا إلى المعقول وتعرضوا عن المجهول الذي تتداوله ألسنة الجهلاء الذين لا يعرفون شيئاً إلا قال فلان وروى فلان بلا دليل ولا شبه دليل يُعقَل، وهذا بنظري شيء غير معقول ولا يجوز الأخذ به عند ذوي الحجور الراسخة السليمة النيرة، وتكذيب المؤمن لأخيه المؤمن ما هو بالشيء الهين البسيط ولا بالأمر السهل، فكيف بمن يكذب المئات بل الألوف من المؤمنين الكبار والمشاهير الأبرار والعلماء الأخيار وينسبهم للإدعاءات الكاذبة، فاللهم عفواً ولطفاً.

وبعد هذا ما لي إلا أن أعرض عليكم بعض الأقوال التي تبطل أقوالكم بصورةٍ موجزةٍ، لأني أعلم أن كثرة الكلام مع المكابر المتعنت لا تفيد شيئاً، وفي القليل ما يغني عن الكثير في بعض المواقف والحالات، وكما قيل: فالعاقل يكتفي بالتلويح

والجاهل بالعكس. وإليكم بصورة مختصرة بعض ما وجدته وقرأته وما أتذكره حالياً من الأقوال التي تنص وتثبت وتوضح أن المكزون تزوج وله ذرية نما فرعها وعمَّ فضلها ولا يُستهان بها، وفيها من الأقطاب العظام والعلماء الكبار ما هو أشهر من نارٍ على علَم.

فمنه أولاً: فقرة نثرية تاريخية وصلتني نقلاً عن الموجز في تاريخ العرب في نسب المكزون وُجدت عن بطرك لبنان في كتاب ماثلٍ للطبع جاء فيها: « إن الأمير سيف الدين حسن بن مكزون فتح بلاد النصيرية سنة ٦١٨هـ وسنة ستمائة وتسع عشرة هجرية، واستتب له الأمر فيها، وركز دعائم إمارته ورُزق الأمير سيف الدين حسن ثلاثة أولاد من زوجته هند بنت عز الدين بن المفضل بن قريش أخت الملك الأصلح التي لم يتزوج غيرها، وهم حسام الدين ونجم الدين ويوسف الذي اشتهر بالتقوى والزهد، توفي بعد قدوم أبيه إلى بلاد النصيرية بأربع سنوات ٦٢٢هـ ودُفن بقرب عين الكروم، وبُني عليه قبة أثرية تُعرَف بمقام الشيخ يوسف أبو غارا، وحسام الدين الذي أقامه الأمير حسن وكيلاً عنه في الإمارة على بلاد

سنجار والموصل وسكن في إعزاز وتوفي فيها بعد حياة قضاها بالزهد والتقوى ويُعرف قبره الآن بمقام الشيخ أحمد العزازي ..الخ » (نقلتُ منها ما دعت إليه الحاجة). (فاقرأوا وتبصروا) ومثل هذا الكثير من هذا القبيل مما لا متسع له هنا ولا اختلاف فيه إلا في تعداد الزوجات والأولاد.

ومن أقوال السادة القدماء التي تؤيد قولنا وتبطل أقوالكم ما قاله الشيخ حسن/الحيلونة/ المشهور بالكرامات في قصيدته الطويلة التاريخية التي أوردها الشيخ يونس حسن رمضان كاملةً في تاريخه، جاء فيها:

حسنُ المضنَى ابن موسى قــاطن    في قرية حد الهضــوب المقبلــة
"حيلونة" مسكن وجودي والحمى    في دار عــزي والمقــام المحفــلا
والأصل سنجار ونسبتنا ســوى    للسيد الموصوف في صدق الولا
أعني حسن مكزون مضري هاشمي    كلبي تنوخي في التصدق مجمــلا

ومما قرأته قديماً وحفظتُ منه قليلاً قصيدة للطوسي قال فيها:

بيــت نمــو فــروع زاكيــات    إلى المكــزون حقــاً ينســبنا

وكذلك قرأت قصيدة للشيخ سلمان/بيصين/ يمدح بها الشيخ خليل وأخيه الشيخ علي معروف جاء فيها:

**وشرفكم سابق بالفضل متصل — لابن مكزون نعم الأصل والحسب**

**ونسبكم بالنميلي راح مشتهراً — يمنى ويسرى وبين العجم والعرب**

ومن قصيدة له أيضاً يمدح بها الشيخ خليل وأخيه الشيخ علي والشيخ محمد شعبان/ قال في مدحه للشيخ خليل:

**واستعمل التقوى وحسن البر ما — طالت يــداه ثم بالضــعفاء رفــق**

**وباين الجــم الغفــير وقــولهم — بالبدع والتلبــيس رأيهــم محــق**

**يسمى خليل نجل معروف الذي — طلت الشدا شح المداد مع الورق**

**كذا حليف المكرمــات شــقيقه — علي من بحر الذخائر قــد وثــق**

إلى قوله:

**وبعرفــان بحســبهم ونســبهم — بالشرف الأصلي من زمن سبق**

**لآل مكزون المخــول في البــدا — كلهي تنوخي منهج الحق طــرق**

**وتلقبوا مــن بعــده في برهــة — من السنين بني النميلي وشــرق**

ومن قصيدة طويلة له يمدح بها مشايخ بلاد الغرب وبلاد الشمال جاء فيها بمدح مشايخ "درمينة":

**سلالة الطهر عمار الذي ظهــرت — عنه الفضائل في البلدان اشــتهرت**

**قطب الزمان رئيس العصر انتشرت عنه المحاسن والأفضـــال انجهـــرت**

**لكل قاص ومن لقربه يدن**

إلى قوله:

**لآل مكزون بالتأييد قـــد نســـبوا بربع سنجار كان الأصل والحسب**

**قد خلفوها لنحو الغرب قد طلبوا ولقبـــوا بـــالنميلي بعـــدها لقـــب**

**سادوا ولو طال شرحي مل مغتبن**

وكذلك قرأت قصيدة للشيخ حسين أحمد يمدح بها الشيخ عبد الغني رمضان جاء فيها:

**نتيجت عيسى نجل عباس ذوالبها إلى نسب المكزون بـــالفخر فـــائق**

وقرأت وأكثركم قرأ شعر الشيخ حسن سلطاني المشجي المبكي الذي طار ذكره وانتشر هنا وهناك في عامة البلاد وأوله:

**الحمد لله ما أبدا الصباح ســـفور حمداً مزيداً على عدد الحصى والرمل**

وقد جاء فيه:

**ابن النميلي حسن في نسبتو مشهور من آل مكزون من سنجار كان الأصل**

هذا بعض ما تذكرته حالياً من أقوال العلماء القدماء، ولو شئت البحث الطويل لوجدت مثله الكثير الكثير.

ومن أقوال العلماء البالغين الحديثين قول الشيخ إبراهيم عبد اللطيف في جوابه للشيخ محمود علي ناصر آل معروف:

**كفاكم فخاراً عن خليل ورثته وحسبكم القطب ابن مكزون من جد**

ومن قول الشيخ سليمان أحمد يمدح الشيخ حسن رمضان وولديه الشيخ يونس والشيخ عيسى:

**ألا إن لي في آل مكزون نسبة إلى حسن أكرم بها ثم أكرم**

**وما قلتها تالله فخراً وإنما جلاءً لأبصارٍ عن الحق نومِ**

أخي القارئ العاقل لا تغفل عن هذا القسم العظيم الذي قسمه ذلك الإمام الكبير والعلامة الشهير، وانظر وفكر في عقلك، هل يجوز أنه قسمه لغواً وعبثاً وعن غير معرفة وبصيرة وبدون تحقيق؟ فأمعن وتبصر وتأمل وتدبر ولا تتجاهل ذلك.

ومن قصيدة للشيخ معلا ربيع يرثي بها الشيخ حبيب طراف وهي مخمسة:

**وفي صدر المجالس كان فخرا له نسبٌ كساه المجد فخرا**

**إلى حسن المسمى بالأمير**

وقال المؤرخ الكبير للوفيات والمقامات القاضي الشيخ عبد اللطيف سعود يؤرخ وفاة أولاد الشيخ سيف الدين (قرفيص أو حريصون) الأربعة الذين فاجأتهم المنية بحادث سيارة في لحظة واحدة:

هــذي مــدافن فتيــةٍ علويــة        من أســرةٍ تعــزى إلى المكــزون

ومما قاله الشيخ عبد اللطيف إبراهيم في رثائه للشيخ منصور عيسى الخضر آل معروف:

سمى إلى الشرف الأعلـى بنسـبته        إلى الأمير ابن مكزون ومـا كـبرا
ومن تكون إلى المكـزون نسـبته        إن فاخرت مجده شمس الضحى فخرا

وقال في تأبين الشيخ محمد سلمان آل معروف:

من آل معروف معروف بطابعــه        ينمى إلى ذروة العلياء حيث نمــوا
إلى خليــل ومكــزون ترفعــه        كالشمس أنسابه الحسـناء تنـتظم

ومن قصيدة له موجهة للشيخ أحمد حسن رمضان:

يــونس الســيد الإمــام أبــوه        الذين اصــطفاهم النــاس ذخــراً
ورثوا المجد عن خليــل ومكــزون        عريقــاً مبــارك الأصــل نضــرا

هذا ما تذكرته وما عثرت عليه حالياً من الأقوال التي تثبت أن المكزون تزوج وأعقب ذرية تُذكر، ويحق فلها أن

تسمو وتفخر على رغم أنف من عتى وتكبر وجحد ونكر، ونسبة بيت النميلي وفروعهم إليه حقاً وصدقاً، وويلٌ يومئذٍ للمكذبين، وهذا الذي جمعته ودونته في هذه العجالة ما هو في الحقيقة إلا غيض من فيض مما سمعت به وقرأته نظماً ونثراً من أقوال أهل الإنصاف والصدق والتحقيق، وليت لي المستطاع للبحث الطويل والنقل لجمع أكثر ما جاء وكُتب في هذا الصدد قديماً وحديثاً وتدوينه في كتاب خاص لصد المتشبثين منكم بالأقوال المغلوطة المبنية على العصبية العشائرية العمياء التي قادتهم لتلك الأقوال التي لا يدرون ما وراءها ويجهلون تبعتها أو لا يعلمون ماذا يكون حسابهم عليها لدى الموقف العظيم بين يدي الله، وبالله العلي العظيم أقسم عليكم أيها الأخوة المتقولون وبالولاية الصادقة التي أنتم عليه عاكفون أن تصارحونا بجد وصدق وبدون وجل أو مداراة بما عندكم من سند لما تتقولونه في هذا الصدد، وهل بعد كل هذه الموارد الصادرة القيمة يجوز في ذمتكم واعتقادكم إن كل هؤلاء الثقاة الهداة الذين نقلنا من أقوالهم هذه الشذرات القليلة أنهم اعتمدوا بذلك غير الحق ونطقوا غير الصدق؟ وأقسم عليكم

مرة ثانية بما قمت عليكم أولاً إن كان لديكم سند ثابت أو دليل واضح أو شبه دليل يوحي بتأييد مزاعمكم وما تتقولونه وبطلان ما قالوه هؤلاء الثقاة المؤرخون أن تجودوا وتتكرموا به علينا، وأنتم أهل الجود والكرم، والبخل ليس من شيم الكرام. ونحن بحول الله وعونه وهديه مع الحق، مع الصدق، مع الصحيح من أين ما كانت الموارد والمصادر، والحق عندنا وفي معتقدنا أحق أن يتبع، والصدق أولى أن يصدق، والصحيح يجب أن يؤخذ به، وكل ما هو بالعكس يجب أن يُضرب به عرض الحائط من حيثما كان وعن ومن أين ما جاء. وإن لم يكن لديكم دليل ثابت ولا شبه دليل على صحة ما تتقولونه، أتمنى من باب الشفقة عليكم لا خوف ولا رهبة من قيلكم ولا من أقوالكم التي هي في نظرنا أوهى من خيط بيت العنكبوت أن تكفوا عن هذه الأقوال المريبة وتكموا أفواهكم عنها أمام الخلق، ولا تنسوا أن الله بالمرصاد لمن يطلب العلة والنقص لأخيه المؤمن ويردهما له بدون وجود لهما، وهذا الطعن الذي توجهوه لنا ولنسبنا ما هو إلا علة كبرى ونقصٌ ذميم لا يستهان به ولا مبرر لقائله إطلاقاً، وكله

في حد ذاته هراء في هراء ومما لا تبرك عليه الإبل. فاستغفروا ربكم وتوبوا إليه، ومن الحق أن أتمثل بقول الشاعر:

**ما ضر شمس الضحى بالأفق طالعة    أن لا يرى ضوءها من ليس ذو بصر**

وبالختام فإليكم أيها الأخوة المؤمنون كافة قصة ذهبية طريفة لطيفة سمعتها من لسان العلامة الكبير الشيخ سليمان الأحمد ــ قدَّسهُ الله ــ تتعلق بهذا الصدد، والله الشهيد عليَّ بصدق النقل عنه حسبما أتذكر، وقد مرَّ عليها أعوام عديدة ولكن ما نسيتها بعدما سمعتها وحفظتها، وإليكموها أيها القراء الكرام في مضمونها الصحيح بدون تزييف أو تغيير أو تبديل أو تحريف، بل مثلما علقت من حينها في ذهني واستقرت في ذاكرتي، وها هي:

فمنذ ما ينوف على الستين عاماً شرَّفنا العلامة الشهير الكبير المشار إليه في بيتنا في قرية الرقمة تفضلاً وتكرماً منه علينا، وذلك في أيام وحياة سيدي الوالد الشيخ إسماعيل محمد ــ رحمهما الله ــ وقبل تشريف إيانا بمدة قصيرة كان مرَّ علينا بعض الشباب المثقفين وبمناسبة الأحاديث التي دارت بيننا وبين ذلك الشاب وصلنا إلى ذكر المكزون فقال الشاب: إن

المكزون ما تزوج ولم تكن له ذرية أبداً، وقد اصطدمنا وإياه في ذلك القول وذلك الرأي المنحرف عن جادة الصواب والصدق، وكان بيننا وبينه ما كان مما لا لزوم لذكره، وقد ذهب الشاب من عندنا غير راضٍ منا، وبقينا نحن في مكاننا غير راضين منه ولا عنه، وبقيت القضية معلقة في أفكارنا ونفوسنا حتى شرَّفنا سيدنا ومولانا العلامة المذكور فعرضنا عليه البحث الذي دار بيننا وبين الشاب المومى إليه الذي أُعرِض عن تسميته حرصاً على سمعته واحتراماً لأدبه، لأنه بعد هذا الموقف المنحرف صحا من سكرته وانتبه من غفلته ورجع عن رأيه الأول الذي كان يسقى ماءه العكر من مورد كدر، وأخذ بالشيء الصحيح الذي لا مرية فيه ولا شك يعتريه عند أهل التحقيق والتدقيق، وكتب عن المكزون مطولاً رحمه الله، ولما شرَّفنا العلامة ـــ قدَّسهُ الله ـــ سألناه عن المكزون وما يتقوله المتقولون المغرضون بأن المكزون ما تزوج ولم تكن له ذرية، فلم يقل لنا شيئاً سوى أنه بكل هدوء وسكينة قال: مرَّة حضرنا عند جماعة في بلادنا وكان بيننا الشيخ عيسى عمران/كنكارو/ فتطفَّل بعض الحاضرين باسم الجماعة

الموجودين وقال مخاطباً إياي: يا شيخ سليمان، أنتم بيت النميلي تزعمون أن المكزون جدكم وتنتسبون إليه وبالحقيقة المكزون ما تزوج فكيف تكون له ذرية؟ قال العلامة الشيخ سليمان أحمد: فالتفتُّ نحو الشيخ عيسى عمران وقلت له: ألم تسمع يا شيخ عيسى ما يقولون هؤلاء الجماعة، فقال: ماذا يقولون؟ قلت له: يقولون إن المكزون ما تزوج! فالنفض الشيخ فوراً وقال: لعنَ الله كل مَن يقول إن المكزون ما تزوج، وكرَّرها ثلاثاً، ثم قال العلامة: وبعد فترةٍ قصيرة من الأيام حضرنا عند جماعة أخرى وفي مجتمع كبير، فتعرَّضَ البعض من الموجودين وقال لي كما قال لي من قبله، فقلت له: بالأمس القريب كنا عند جماعة ــ وربما سماهم له ــ وقد طرح بعضهم علي هذا القول نفسه وكان الشيخ عيسى عمران/كنكارو/(١) موجوداً معنا، فقلت للشيخ عيسى

---

(١) **الشيخ عيسى عمران/كنكارو/**: هو عيسى بن عمران بن خليفة بن إبراهيم بن مهنا بن مسعود بن يوسف بن الشيخ حبيب بن الشيخ

عمران: ألم تسمع ما يقولون هؤلاء الجماعة؟ فقال: ماذا يقولون؟ قلت له: يقولون إن المكزون ما تزوج! فقال على الفور: لعنَ الله كل مَن يقول إن المكزون ما تزوج، وكرَّرها ثلاثاً، فقالت الجماعة الموجودون: والله لقد لعنتَنا في وجوهنا، فقلت لهم: أنا لم ألعنكم بل الشيخ عيسى عمران هكذا قال.

هكذا كان جواب العلامة الشيخ سليمان أحمد لنا لا أقل ولا أكثر غفر الله له وللشيخ عيسى عمران معاً.

---

نجم الدين /البسباسة/ بن الشيخ مسعود /طبشون/ بن الشيخ إبراهيم العفاص العبدي البغدادي. ولد سنة /١٢٥٠هـ وتوفي سنة ١٣٣٠هـ.

## ذكريات الماضي ونغمات الحاضر

يطيب لي أن أتحدث إليك أيها الجيل الحاضر بكل بساطة وأقصُّ عليك أخبار أمور تعاقبتها أمورٌ شتى خلال سبعين عاماً ونيف مرت بي أو مررت بها مرور الكرام، وتاريخها الأول على التقريب يعود إلى حوالي سنة الألف والتسعمائة والستة عشر ميلادية وينتهي في اليوم الحالي المناط في سنة ١٩٨٥. أجل أقصُّ عليك ولكن ليس الخبر كالعيان،

أولاً ــ أتذكر الزمن المشؤوم الذي أدركت أواخره من العهد العثماني التركي الطافح بالمظالم والمآسي المليء بالجور والبغضاء لبني الإنسان أجمع، نعم أتذكر جيداً ذلك العهد العاري من قسطاس العدل الملطخ بشنار العيب والعار البغيض الحاقد الذي ما كان يعرف للرحمة باباً ولا يسلك إليها سبيلاً.

أجل أتحدث إليك أيها الجيل المحبوب ببساطة وأنا ابن القرية ولا بأس أن تعدَّني من المخضرمين الذين أدركوا أواخر ذلك العصر المشؤوم الذي أشرت إليه وأدركت هذا العصر الحافل بالنعيم الدنيوي المحض الذي ما وصلت إليه أمتنا وعلى الأخص أبناء جبالنا في عصرٍ من العصور ولا جيلٍ من الأجيال

السالفة فيما سطره التاريخ العربي ونقله إلينا بأمانته المعهودة، وسأمرُّ عليك في تحدثي هذا على مراحل شتى قديماً وكاد أن يُنسى ذكرها ويموت خبرها ولا يُعرف فيما بعد شيء من أمرها، وبالحقيقة لا أثر بعد عين.

وسأضع كل مرحلة أو حالة تحت عنوان يوحي بمعنى ينطبق على الواقع ويشير إليه ولو من طرف خفي، وسيكون ما نرمي إليه في حديثنا هذا أوله ما لحِقنا من حصر الأتراك المعروف "بسفر برلك" ـــ لفظة تركية ـــ منتهياً بالعهد الحاضر عهد الرئيس حافظ الأسد وعلى الأخص في اليوم الأول من ولايته الثالثة على البلاد والعباد الواقع في ١٣/آذار/١٩٨٥م.

## الخوف

الخوف وما أدراك ما الخوف الذي سيطر على العالم وضرب أطنابه في كل أنحاء الأرض والعالم على حسب ما سمعت ونُقل إلينا عن ذلك الزمن المشؤوم وخاصة في بلادنا وعلى التحديد في جبالنا نحن العلويين، فقد كان كثيراً وشرُّه

مستطيراً وقد دام طويلاً، ما هي العوامل المخيفة التي كانت آنذاك ؟ وما هي أسبابها ؟

أسبابها كثيرة وعواملها فوق أن تعد أو تحصى لكن أهمها وفي الدرجة الأولى منها كانت المصادرة التي فرضت على الرجال البالغين سن الرشد، فكانت المصادرة لهم إلزاماً عليهم في كل صقع وحدب وصوب من بلادنا وكانت الملاحقة مستمرة بصورة عنيفة وجبارة مخيفة لأبعد الحدود لما كان يتبعها ويترتب عليها من عواقب وخيمة وأمور سيئة جداً ولكن أهمها كما قلنا المصادرة.

كانت رجالات الدولة المعروفون آنذاك بالدرك يطوفون البلاد شرقاً وغرباً وقبلةً وشمالاً من أدناه إلى أقصاه ويجوبون القرى والديار يومياً وقل ليلاً ونهاراً متجسسين لأجل مصادرة الرجال الفارين من وجه الظلم لا من وجه العدالة لا يتحاشون منكراً ولا يتناهون عن سوء يفعلوه وكان ديدنهم إذا وقع أي إنسان من الرجال البالغين الرشد الفارين أو غير الفارين بين أيديهم عمدوا على الفور إلى زج كلتا يديه في كلباج من حديد وإذا حصلوا على اصطياد اثنين معاً وضعوا

الكلباج بيمين أحدهما ويسرى التالي وساقوهما أمامهم مشاة وهم على ظهر خيولهم سوقاً عنيفاً لا هوادة فيه ولا رحمة ولا شفقة قط، حتى ولو كانوا بالعشرات هكذا يكون حالهم وتكون معاملتهم حتى يصلون هم إلى السلطة العليا الحاكمة في القضاء أو المحافظة، ومن هناك يكون القرار الحتم بأمورهم وتسييرهم وإرسالهم إلى حيث يشاءون، فمنهم من يرسل إلى اليمن ومنهم من يرسل إلى الأناضول (مثلاً) ومنهم ومنهم إلى وراء ذلك.

وفي كل قرية وفي كل حي ومكان ولا ترى إلا الفارين الهاربين والمختبئين في الكهوف والمغر والوديان ليلاً نهاراً صيفاً شتاءً وكلهم حفاة عراة جياع يتناولون القوت الضروري من أعشاب البراري وعن شواطئ الأنهر وبعض السواقي الجارية، وإذا اضطر أحدهم واشتدت ضائقته للقمة الزاد أو اغرض ما في بيته جاء متخفياً خائفاً وجلاً وكأنه لص يخامره الجبن، وإذا وصل إلى بيته مكث فيه قليلاً ولم يلبث طويلاً وربما عاد تواً خوفاً على نفسه من مداهمة سريعة تمر به على غفلة من احد العتة البغاة المذكورين فيأخذ عنوة إلى حيث لا يعلم ولا

يدري، وإذا دعت الحاجة لأمر ما أو غرض ما لاجتماع الفارين المشتتين هنا وهناك اجتمعوا وهم على خوف كبير في المكان التي تدعو الحاجة للاجتماع به ووضعوا حول المكان الموجودين به رقيباً يراقب الطرق والمسالك التي تؤدي إلى القرية، وقد دامت تلك الحالة زمناً طولاً.

ومن الطريف الذي أخلقته تلك المخاوف ما أحدثك به عن كثب، وهو في نظري شيء فيه معنى من معاني الذكاء والفطنة الجيدة.

فاسمعه جيداً ــ لما ضاقت الحال بالناس جميعاً ودب الرعب والخوف بالنفوس وفي كل مكان وسيطر على العالم سلطان الجور والظلم كما أسلفنا في حديثنا، لجئوا أهل قريتنا خاصة لتدبير حيلة ما تريحهم بعض الشيء من أهوال تلك المخاوف (ولا أدري إذا كان أحداً غيرهم سبقهم إلى هذه الفكرة)، فكر ذوو الفهم والعقل من أبناء القرية بحيلة تخفف عنهم بعض الشيء من وطأة تلك المخاوف المستمرة فاستلهموا حيلة وكانت جيدة ومجدية جداً.

قريتنا يا صاحبي تقع في شبه وادي صغير وهي متسعة بالنسبة للقرى المجاورة لها وتؤدي إليها طرق متعددة من كل الجوانب ومنها دائماً دخول الدرك الذين أشرنا إليهم على القرية وكانوا يدخلون منها إلى القرية بكل حذر خيفة أن يراهم أو يشعر بهم أحد قبل الوصول إلى داخل القرية — وربما كانوا كثرة — ولا تسأل ماذا كان يصير ويحدث إذا دخلوا القرية على غفلة وكيف ينصرف المعرضون للمصادرة، وكأني بهم. فهذا يذهب شرقاً فيقع أحد الدرك في طريقه، وهذا يذهب غرباً فيلاقي الدركي في وجهه والبعض يقع في أيديهم خلسة والبعض يفر والرصاص يتبعه والصرخة ترهبه فمنهم من ينجو ومنهم من لا ينجو ومنهم من يقتل ومن يجرح إلى ما وراء ذلك وغير ذلك.

قلت لك أن قريتنا (الرقمة) تقع في أعلى وادي أو شبه وادي وعلى عدوة الوادي شبه هضبة أو قل ثمة مكان مرتفع يطل على الطرق المؤدية على القرية من كل الجوانب والنواحي ويشرف على القرية بكاملها، ففكر من فكر من أبناء القرية فوصل إلى نتيجة مثمرة ومفيدة، فاتخذ أبناء القرية ما سميته

حيلة ويا لها من حيلة ما أنفعها، فقرروا واتفقوا على أن يضعوا ناطوراً أي شخصاً يقف على تلك الهضبة الأنفة الذكر من الصباح إلى المساء وهو يراقب الطرق المؤدية إلى القرية من كل النواحي، فإذا جاء الدرك من الجهة الشرقية مثلاً نادى الناطور بأعلى صوته باسم شخص هميم من سكان الحارة الشرقية : (يا فلان البقر دخل الزرع ) أو إشارة أخرى، فيسمع الرجال الموجودون في القرية النداء فيعرفون أن الدرك جاؤوا من الجهة والحارة التي يسكنها الرجل المنادى باسمه، فيذهبون الرجال هاربين لغير الجهة المذكورة، وإذا جاء الدرك من جهة أخرى نادى الناطور باسم شخص ثاني كبير العمر يكون مقره في الحارة التي جاء الدرك من جهتها وعن طريقها، وربما جاء الدرك من طريقين فينادي المنادي شخصي كبيرين كل واحد منهما في حارة من القرية، وهكذا دواليك حتى قيض الله الفرج الأكبر للعالم أجمع وذهبت تركية مذمومة مدحورة حيث لا رجعة لها إلى الأبد إن شاء الله.

## الخدمة الإلزامية

على ما يبدو أن الخدمة التي كانوا يسمونها العسكرية في هاتيك الزمن كانت إلزامية وكان فيها قيود وسجلات للنفوس وخاصة للذكور، والمسلحون كانوا قلائل، فأخذت الدولة الغاشمة تطالب الذين شملتهم قارعة السوق إلى الخدمة العسكرية وتلاحقهم وتطارد أترابهم وأمثالهم الذين لم يكن لديهم تذكرة (أي هوية) وتصادرهم بالعنف والقوة وتأخذهم بالذل والقهر وتعاقبهم بأشر العقوبات، لذلك طفق الناس يفرون ويهربون من وجه البطش والعنف والإرهاب والدولة تطاردهم أينما كانوا وحيثما كانوا ووجدوا، والويل كل الويل لمن يقع بين أيديهم وفي قبضة جبروتهم ماذا يلاقي من العذاب والتنكيل، فكم من هارب أردوه قتيلاً، ومنهزم أمسكوه جريحاً، والويل كل الويل أيضاً لمن يخرج الهارب من بيته أو الجماعة الذين يفر من بينهم ماذا يلاقون من الألاقي والعذاب إن لم يدلوا عليه وعلى اسمه وبيته وأهله، وإذا وصلوا إلى معرفته ومعرفة أهله وبيته ماذا يكون، (فظن شراً ولا تسأل عن الخبر).

قلت لك إن الذين كانت تطاردهم الدولة متى وقعوا بين يديها كانت ترسلهم حيثما شاءت من بلدان العالم، وقد شاهدت أناساً ممن أرسلتهم إلى اليمن وغيره، ورجعوا إلى بلادهم هزيمة، وقد قصوا علينا أقاصيص عدة تتعلق بهم وبما جرى عليهم، وبالحقيقة فيها غرائب وعجائب ولكنها ممقوتة ومؤلمة جداً، كثير من هام منهم أثناء الهزيمة في البراراي، وكثير منهم من ضل الطريق فأكلته الوحوش و لم يقف له بعد على أثر ولا خبر، وكم وكم من غرق منهم عند تقاطع الأنهر الضخمة أو البحيرات، وكم من مات منهم جوعاً وكم من قتل منهم في الطريق بعد سلبه الثياب الرثة البالية أو غير بالية التي كان يرتديها، فالطريق على حد قولهم كله كان مليئاً بالمخاطر أو المخاوف، غاص باللصوص والجناة على حد قول من أخبرونا من المنهزمين الذين كتبت لهم السلامة فوصلوا إلى وطنهم وبلدهم بعد العذاب المر.

وإليك حادثة طريفة تتعلق بهذا الصدد أقصها عليك بلفظها الحرفي تقريباً، أي كما حدثني بها أحد المنهزمين الذين وصلوا إلى بلادهم بسلامة، قال لي من حدثني: أنه لما سيقَ إلى

الخدمة الإلزامية في هاتيك العهد أخذ معه ما يسمى خرجية ليرتين ذهبيتين، ولما وصل إلى البلاد البعيدة التي أرسل إليها هو ومن معه (وأظنه اليمن) مكث هو ورفاقه هناك بضعة أشهر وهم يعانون الويلات من الضغط المستمر عليهم ليلاً ونهاراً والتعذيب والتنكيل بهم دائماً علاوة على ما يقاسمون من مرارة الجوع والعطش وغير ذلك، وقد فكر القائل المشار إليه المخبر هو وبعض رفاقه بالهزيمة للتخلص من قسوة المعاملة التي يعاملون بها والعذاب الأليم، وفي ليلة من الليالي عقد العزم هو وبعض الرفاق على الهرب فهربوا في ليلة داجية من معسكرهم واتجهوا سوية ولكن إلى حيث لا يدرون ولا يعلمون من أين ولا إلى أين، وذهبوا يسيرون ليلاً ويكمنون نهاراً، طعامهم أعشاب البراري، تظلهم السماء وتقلهم الأرض، وساروا ليالياً وكمنوا أياماً لا هادٍ لهم يهديهم الطريق ولا دليل يدلهم السبيل غير بعض النجوم ليلاً والشمس المضيئة نهاراً، ومشوا على تلك الحالة حتى أضناهم الجوع والعطش، فأخذ بعضهم يتسلل إلى بعض بيوت الأعراب لكي يستجدي لقمة الزاد ولرفاقه إن أمكن، ولكن لا تسل ماذا جرى من جراء ذلك عليهم وما

وقعوا به، فلقد انقلبت الحالة عليهم بالعكس تماماً، فبعد أن يخرجوا من النّزل العربي أو القرية صارت تلاحقهم اللصوص ويتابعونهم المشلحون فيسلبونهم الثياب ويأخذون كل ما معهم وما عليهم، والطريف الذي وعدتك بهم وليس هو في حقيقة واقعه طريفاً بل مقيتاً، وهو أن الذي حدثني قال لي أن الليرتين اللتان أخذهما معه من البيت كانتا باقيتان معه أثناء الهزيمة، وظل حريصاً عليهما، ولما هرب ومن معه لما يتجاوزوا مسافةً طويلة حتى شعروا ولأول مرة بأناس تلاحقهم وتتابعهم، فظنوهم مشلحين، وكانوا كما ظنوا، ولحسن ظنه على حد قوله أنه قدَّر وتوَّر أنهم سيأخذون كل ما معهم، فوقف هنيهة حائراً لا يدري ما يصنع بالليرتين، ولا أين يخبئهما، فاستلهم قبل وصول المشلحين إليهم حيلة، فاخذ الليرتين واحدة تلو الأخرة وشلحهما في فمه واحدة بعد واحدة وبلعهما قبل وصول السلابين لديهم، ولما وصلوا كان كما ظن، فسلبوهم ثيابهم وأخوا كل ما معهم وما عليهم وتركوهم حفاة عراة، وكانت تتعاقب على المنهزمين النكبات والصعوبات والملاحقات طوال الطريق، وكلما مروا بحي أو

قرية وخرجوا منهما تتابعهم اللصوص، فإن وجدوا معهم ثمة بقايا ولو كانت تافهة أخذوها بدون هوادة ولا مرحمة البتة، وإن لم يجدوا معهم شيئاً يؤخذ شتموهم وتركوهم وربما ضربوهم. ولنعد لتتمة الحادثة، قال المخبر: إنه بعد أن بلع الليرتين أخذ يراقب البراز دائماً، ولقلة الطعام فقد كان البراز قليلاً جداً، وذلك لكي يستخلص ما أبقت المعدة له من كنْزه المدفون، فكانت النتيجة أنه اسخلصهما من برازه سالمتين، وهذه حادثة من حوادث كثيرة.

## الجوع

بعد أن ضرب الرعب والخوف أطنابهما في سائر البلاد كما أشرنا أولاً وقع الفقر المدقع فكان حليفه الجوع الكافر وعلى إثرهما لا بل معهما أخذت الأمراض تتفشى وإياهما جنب إلى جنب ــ حتى (عظم المكروه واستفظع الأمر) وبات الناس في غمرة كبرى وبهمة طخياء لا انقشاع لها وذهبوا وهم في كل وادٍ يهيمون وعلى كل مصبٍ يتزلون سعياً وراء لقمة العيش ولكن أنى يجدونها ومن أين تعطى لهم وهل من الممكن الحصول عليها، بعد أن أصبحت كالقطع النادر في هاتيك

الزمن فكم وكم من إنسان سليم العقل بالغ الرشد باع كل ما يملكه من الأراضي والأشجار والأمتعة بأبخس الأثمان لأجل سد جوعته وجوعة عائلته من القوت الضروري لفترة قصيرة.

وأخبرك أنه في ذلك الحين تصاعدت أسعار الحبوب حتى وصل ثمن تنكة القمح لحد الليرة الذهبية وصارت تباع أوقية القمح بخمسة قروش تركية وأكثر الناس كانوا يعيشون على السليق (أي أعشاب البراري) ومنهم من كان يأكل تلك الأعشاب صرفة (أي بدون دجن) ومنهم من كان يرش على الطبخة الكبيرة من السليق مقدار القبضة من البرغل أو غيره.

وقد سمعت أن بعضهم في تلك الفترة اضطر لأكل الكرسنة التي خلقها الله للحيوان لا للإنسان وكان يغليها ثم يصفيها مراراً ثم يمرسها لإزالة قشرها ثم يعود فيطبخها ويقدمها لأسرته فينقضوا عليها جميعاً بنهم.

وقد اضطر البعض أيضاً لأكل الدوام الذي هو من أثمار شجر البلوط والسنديان وكان يعمد لتكيفه على النحو التالي: أولاً يسلقه سلقاً جيداً (أي يطبخه على النار بإناء) وبعد ذلك يشمسه ثم يقشره ثم يشمسه ثم يجرشه على الرحى ثم يعجنه ثم

يخبزه ثم يأكله هو وأسرته، وكثيراً من الناس هاجروا من أوطانهم وتركوا بلادهم سعياً وراء لقمة العيش وكثيراً من مات منهم على قارعة الطرق والدروب والتنانير (أي في المكان الذي كانت تخبز به أو عليه الأسرة خبزها حيث كان لكل مجموعة من البيوت ما يسمى تنور) وغير ذلك.

وكم دامت مدة تلك الحالة ـــ فأنا لا أدري ـــ زكان الذين عاشوا قبلي ومضوا لسبيلهم يدرون ولديهم المعلومات الكثيرة عن ذلك الوقت، أجل سمعت لا على التأكيد إنها دامت ما يقارب السنوات الثلاث على الأقل ـــ وقد أعقمت النساء طيلة تلك المدة إلا ما ندر ـــ وليس ذلك بغريب حتى ولا بعجيب. لأن عاملاً واحداً من أربعة عوامل تلاقت واجتمعت مع بعضها، وهي الرعب والخوف والجوع والمرض, كان كافياً لتوقيف أمشاج النسل، فكيف وقد استفحل شرهم المستطير وهم متحدون وسيطر سلطانهم الأثيم على كل إنسان، وبعد كل ذلك فقد انقطعت أو كادت تنقطع بعض الموارد الضرورية التي لا يمكن الإستغناء عنها أبداً ومن أهمها الملح فقد كاد أن ينقطع عن أو من بلادنا وقد كان استيراده

من (حماه) لأجل شرائه واستيراده إلى القرية (وأين نحن وأين حماه عنا).

وكيف كانت تعطى تلك المادة من هناك؟ أبتخصيص أم بغير تخصيص لا أدري ومن الذين كانوا يجرؤون للذهاب إلى حماه لأجل جلب ذلك الصنف إلى القرى هم وأبيك يا صديقي من الرجال الذين لا تصح مصادرهم قانونياً ولا خلقياً ومثلهم من النساء اللائي بلغن لا بل تجاوزن الستينات من العمر وكنّ يذهبن بمعية الرجال الكهول لا وحدهن هؤلاء الذين كانوا يجرؤون بحكم الضرورة للذهاب إلى حماه لاستيراد الملح الذي هو من المواد الضرورية لبني الإنسان وكيف كانوا يتناولونه من هناك وكيف كان يعطى لهم؟ أبمقدار مخصص أم بغير مقدار معين (لا أدري) وقد أدركت عصر من كانوا يعرفون تفصيل ذلك وعاشرت بعضهم، ولكن للأسف لم أسأل أحداً منهم عن ذلك وقد مضى جيلهم وانتهى، ولا تسأل ماذا قاسى ذلك الجيل المعذب المسكين وما عانى وما لاقى من الألاقي والويلات اللاتي لا تعد ولا تحصى. وإليك المثل أو الدليل وهو بعض من جملة أو جزء من كل:

شاهدت في أوائل حياتي رجلاً هميماً كبيراً جداً وسمعت أنه كان يقول لوالدي: هل من المحتمل أو الممكن أننا سنشبع من خبز التنور في حياتنا هذه؟ وقد عاش ذلك الرجل الهميم إلى أن انقلبت الأوضاع وتغيرت الأحوال إلى الأحسن والأفضل وأكل وشبع من خبز التنور مدة من الزمن، وكان أبي رحمه الله يذكره بقولته تلك، فسبحان مغير الأحوال ومسيرها وهو الله رب العالمين جلت ذاته وعظمت قدرته.

## حالات متعددة

أحدثك كيف كان الناس يسهرون وكيف كانوا ينامون وكيف يقومون ويقعدون ويروحون ويجيئون ويغتسلون ويأكلون ويشربون و..و.. كان الناس في عامة جبالنا وقرانا يسهرون على ضوء النار التي تضرم أمامهم في الموقدة من الحطب اليابس المدخر من الصيف إلى الشتاء، والجيران يجتمعون عند بعضهم ليلاً ويتحدثون مع بعضهم، وعلى ما يبدو كانت الألفة موجودة بين الناس بأكثر مما هي في أيامنا، وربما طالت سهراتهم واجتماعاتهم، وان صاحب البيت أو ربة البيت يتعهدان ملاحقة النار بالحطب اليابس طيلة السهرة

لأجل الإنارة بينهم، فكان إذا شبَّ لهيب النار أمامهم يرون بعضهم، وإذا خمد اللهيب فلا يرى أحدهم شيئاً حتى ولا نفسه، وكم دامت الأحوال على هذا النمط أو الحال (لا أدري).

وبعد ذلك الحال التعيس تطور الوقت ببطء من شيء إلى شيء بسيط لكنه أحسن وأفضل، ومن يدري من أين وكيف وصل ذلك التطور البسيط إلى القرى.

فمن جديد عمد الإنسان ابن القرية لاقتناء السراج الذي هو بلغة العامة "بصبوص" وصورته تشاكل وتضاهي بعض الأنواع من نفاضات السجائر الموجودة الآن (وليت بالإمكان رسمه) أوصافه: شكل مستدير ومكشوف بكامله، وفي ناحية من أعلاه يوجد فرض صغير وله نتوء طفيف منبسط وليس بقائم، توضع في وسطه ـ أي البصبوص ـ فتيلة من قماش عتيق ويصب عليها زيت الزيتون حتى يغمرها ويخرج طرفاها خارج الفرض المذكور وتعطى النار فتشتعل فيستضيء بها الموجودون بعض الشيء وكن ضوءها يكون ضعيفاً جداً، وكان الناس يشعلون النار أمامهم كما تحدثنا، فإذا استضاء

ضوء النار أطفأوا البصبوص، وإذا خمدت النار بتاتاً أشعلوه. وكانوا على ما فهمنا يجتمعون مع وعند بعضهم بكثرة ويسهرون عند المقدر والمحترم لديهم باستمرار ــ ومخزون النار عندهم ــ كانوا دائماً يطمرون جمرة كبيرة في الرماد من المساء إلى الصباح لأجل إشعال النار من جديد صباح كل يوم، وأظن إن المخزون الأول الذي استخرجت منه النار هو الزناد والصلاته ــ ولا أظن أنك تفهما يا صديقي ــ لذلك أقول لك أن الزناد يتكون من قطعة صغيرة من الفولاذ الجيد، والصلاتة قطعة صغيرة حادة من الحجر الصلد المعروف بالصوان، فإذا ضرب الإنسان الحجر بالزناد خرج من بينهما شرار يشعل الشيء الدقيق الذي خصصه الإنسان لهذا الغرض، ومنه تشعل النار.

وإن تسأل: على أي شيء يجلسون أثناء مجتمعاتهم وسهراتهم؟ فاسمع واعجب: كانوا يجلسون وأبيك يا صديقي على الأرض العادية، والبعض منهم يتناول قرمة من الحطب فيجلس عليها أو حجر صغير ناعم يكون في البيت أو موقد أو قبوعاً بالياً أو .. هكذا كانوا يفعلون، وعلى مثل ما ذكرنا

كانوا يجلسون في كل مجتمعاتهم الليلية والنهارية، وبعد ذلك تطورت الحالة والوقت شيئاً فشيئاً، ودخل زيت الكاز إلى البلاد ووصل منه للقرى الشيء القليل، ولكن من أين جاء ومن أين دخل ووصل إلى القرى لا أدري، فبدأ ذوو الإمكانية الذين ساعدهم الأوقات والظروف فسارعوا إلى الحصول على بعض الشيء من تلك المادة المذكورة، وكانت الأحوال قد تنفست شيئاً طفيفاً، وشكل البصبوص الأول الذي أشرنا إليه كان قد تغير وحل محله الشكل الجديد للسراج وهيئته مغايرة للبصبوص، وبدأ الاستعمال بالزيت الجديد الكاز وبطل استعمال زيت الزيتون، ولكن كيفية الاستعمال بالتقتير والتقليل بقيت مستمرة ردحاً من الزمن نظراً لعدم توفر المادة المذكورة، وبقوا على حالتهم الأولى يوقدون النار في سهراتهم ويشعلون السراج، فإن هبَّ لهيب النار وأعطى ضوءاً أطفؤوا السراج، وإن خمد لهيبها أشعلوا السراج، وليس ذلك كله من باب الاقتصاد بل بعضه من باب العادة وبعضه من الفقر وعدم توفر المادة. وأروي لك يا صديقي أنني أتذكر جيداً أن تنكة الزيت من الكاز كانت تقسم على أربع عائلات أول دخول

تلك المادة على البلاد، ويكون هذا المقدار مخصصاً لعام كامل، وبعد فترة من الزمن عادت التنكة تقسم على عائلتين فقط، وهكذا دواليك إلى أن تطورت الأحوال وتغيرت الأمور وصار كل ذي بيت يصرف في بيته كل شهر على التقريب تنكة من الزيت المذكور، وتصاعدت وتعالت إلى الحد الأكبر الذي سيجيء ذكره.

## الحياة المعيشية

أما الحياة المعيشية وأسبابها فقد تطورت بعض الشيء ولكن بقيت العادات والحياة التي مرنوا عليها قديماً لها الأثر أو بعضه على المجتمع، بدأ الإنسان من جديد يزرع الأراضي واقتناء المواشي الصالحة كالماعز والبقر ليقتات من محاصيلها وينتفع من مواردها، ومن ذلك الحين إلى يومنا هذا والناس يعيشون من كدهم وتعبهم وعرق جبينهم (كما يقولون).

هكذا بدت تلك المرحلة، وصار الإنسان يحرث الأرض السهلة على بقره ويزرع الأرض الحطمة على فأسه (أي في الجبال لا غيرها) وكما كنت تراه فهو يحصد المزروعات بمنحله وترجدها امرأته ويدرس الزرع على الحيوانات كالبقر

والحمير والخيل في مرجه أو حيلانه. أظن أنك تجهل صورة المرج المكون من أربع دفواف من الخشب وفي أسفله مئات القدوحات وهي غير نافذة وفي كل قدح تدق حصاة من الصلات الحاد لأجل تنعيم قش الزرع ويومياً يحصى بحصو جديد، وكان يبقى الإنسان وأسرته على بيدره ما يقارب الشهر أو أكثر يقلب ويردد ويدري بمدراته الخشبية ويسرد وينقل محصوله من البيدر إلى البيت على كتفه، وقد بقيت تلك الحالة إلى القريب القريب من أيامنا هذه، وقلَّ في بلادنا من كان يحصل على مؤونة عائلته كاملة لسنته المقبلة بعد كل العناء الذي كان يبذله والجهود الجبارة التي كان يصرفها ففي هذا السبيل، هكذا كان الإنسان في تلك المرحلة يركز دائماً على عمل يده وكده وجهده متقصداً الحصول على ما يكفيه وعائلته طيلة فصل الشتاء وما يليه إن أمكن، وبعد ذلك ينصرف طيلة فصل للبطالة ويرافقه الكسل إلا في حالات خاصة سيجيء ذكرها قريباً، وقد تسوى الرجل والمرأة في كثير من الأعمال منها: كان الرجل والمرأة يحمل التنكتان أو الثلاث تنكات من الحب على كتفه ويذهب إلى الطاحونة

البعيدة عن القرية مسافة ما يقارب الساعة أو الساعتين وأكثر ليطحن الطحنة من الحب ويعود بها إلى أهله في بيته. وربما بقي الذاهب لهذا الغرض أكثر من يوم وليلة في الطاحون منتظراً دوره، وكللت المرأة خاصة تجرش ما يسمى برغلاً على الرحى الصغيرة الموجودة في بيتها أو بيت جارتها ومن هذا القبيل الكثير.

## المقتنيات

ما هي المقتنيات التي كان يركز عليها الإنسان في هذه الجبال خاصة؟ كان يركز على اقتناء الماعز في الدرجة الأولى وعلى غيرها في الدرجة الثانية، وكانت الطقوس الجوية على ما سمعنا ورأينا بخلاف ما هي عليه الآن، فقد كانت تتساقط ثلوج كثيرة أيام الشتاء ويتخللها الجليد والزمهرير، ويصير حصار طويل للماشية والمواشي فيضطرون أصحاب المواشي من الماعز للذهاب إلى البرية البعيدة أو القريبة لأجل جلب أوراق السنديان المعروف وذلك لإطعام مواشيهم المحاصرة. وكيف كانوا يذهبون ويغدون ويروحون؟ كانوا والصدق يقال يذهبون زرافات ووحداناً وأكثرهم حفاة عراة يطأون

الثلج والجليد بأرجلهم وكأنهم يمشون على بساط من العهن المنفوش، وكيف كانوا يذهبون؟ كان معظمهم إن لم نقل كلهم يذهبون برغبة ويرجعون بعزيمة، والكثير منهم كان يمضي ضاحكاً يتندر على هذا وعلى هذه من رفاقه ويجري ويشجع ذاك وذي طيلة الطريق ذهاباً وإياباً، ومنهم من لا يزال يغني (ويهوبر) طيلة الطريق وضمن الأحراج الكثيفة الذي يخرج منها حاملاً كل ما يستطيع من أوراق السنديان ويقفل راجعاً وهو نشيط، وقد تساوى الرجل والمرأة في هذا المضمار، وهناك يكون القوي والقوية والضعيف والضعيفة، وهذه الأوصاف التي رسمناها هي خاصة بالأشداء الأقوياء من النوعين لا بالهازيل الضعفاء، وإذا قلت لك إن الكثير ممن وصفناهم كانوا يحملون أحذيتهم طوال الطريق ويضعونها ضمن ما على رؤوسهم من الأوراق السنديانية فصدقني. أما الذين لا حول لهم ولا طول الجياع العراة الحفاة فكانوا يذهبون بين بين لا فرحين ولا عابثين بحكم الضرورة، وكم وكم من مرمر (أي مات من البرد) منهم في الطريق أو ضمن الأحراج لضعف قواهم من شدة القر.

## السكن

كان الإنسان مهما علا شأنه وعظم قدره يسكن هو وعائلته وأولاده وأخوته وأبوه وأمه ومواشيه المتنوعة من ماعز وبقر وغير ذلك في بيت واحد لا ثانٍ له، ولكن ربما كان البيت كبيراً فيضع التبن في زاوية منه والبقرات وما شاكلهم في زاوية أخرى، ويعمل لهم حصيلة خاصة، ويقيم فوق الحصيلة عرزالاً (ويسمى خيمة) خاصاً لأجل منامته مع جميع أفراد عائلته سوية فيه ــ كثروا أم قلوا ــ وكيفية ذلك العرزال وشكله فعلى النحو التالي: تركز قوائم أو ركائز خشبية في الأرض متصلة بالسقف من البيت أولاً، وتوضع عوارض خشبية طولاً وعرضاً متمسكة بالقوائم متلاصقة تقريباً ببعضها ثم يطرح فوقها شيء من أغصان الأشجار الناعمة (كالحيصد والبلان أو ما يشاكلهما) ثم يطرح فوق ذلك الحصير المهلهل أو غير مهلهل وربما كان لدى البعض من الناس وإن كانوا قلة في ذلك الحين ما يسمى لباداً وهو ما يصنع من الصوف المندوف المدلوك فيضعه صاحبه فوق الحصير الموجود في العرزال المذكور وهذا يعد صاحبه سعيداً، ولم يكن لدى كل

ذي عائلة إلا لحاف واحد عند الأكثرية من الناس لكن يكون اللحاف كبيراً، فتجتمع العائلة برمتها أي ربة البيت وزوجها وأبنائهما أثناء النوم تحته سواء كانت العائلة قليلة أم كثيرة. وكان إذا جاء أحدهم ضيف من الفقراء المتسولين أدخلوه زاوية التبن فينام بها أو يبقى حول الموقدة التي كانت تضرم فيها النار طيلة السهرة ويكون فراشه أرض البيت وسقفه غطاؤه عند الأكثرية من الناس، هذا باستثناء القلة من الناس الذين كان يوجد لديهم ما يسد الرمق وما هو أفضل وأحسن من ذلك. وقد روى لي البعض ممن مضوا أن بعض سكان القرى الميسورين كان يوجد في حوزتهم ما يعد زيادة وهو لباد وعباءة مصنوعة من الشعر الأسود المغزول في الأيدي ومحاكة على "نول" خاص، فإذا جاء أحد من الدرك الذين مر ذكرهم لعند المختار الفقير يبعث الحواط لعند صاحب اللبا أو العباءة او كليهما معاً، فيجيء بهما لأجل منامة الدرك أو الضيف العزيز الكبير.

وإليك ما هو أغرب وأعجب وأصعب من كل ما ذكر من المراحل التي مر ذكرها: كانت الحالة العائلية قائمة على

حسب ما ذكرت وطالما بقيت مجتمعة، ولكن الشيء الذي لا بد منه كما تعلم ويعلم كل الناس، فالعائلة بحكم الواقع على الأكثر لا بد لها من أن تكبر وتكثر لحد يفرض عليها التفرقة يوماً ما، وذلك مما لا بد له في حكم المعقول، وإليك المثال والبيان: فهذا تزوج أخوه وهذا تزوج ابنه مثلاً ويكونون كلهم في بيت واحد ساكنون كما أسلفنا، وربما حصل نزاع بينهم أو لم يحصل فالحالة بالطبع ملحة للتفرق وتصبح ضرورية لا غنى عنها ولا مهرب منها، ولكن ماذا يعملون وكيف يصنعون وهم لا يملكون من متاع الدنيا شروى نقير، وربما انقطعت بهم السبل في مجال الحياة وهم لا يقدرون على بناء بيت جديد، فيضطرون بحكم الضرورة فيعمدون لقسم البيت الموجود بينهما شطرين متساويين ويجعلون بينهما حاجزاً فيكون من حصل مانع بين الطرفين تقام له دعائم من الأرض إلى السقف ثم يلف على الركائز أو الدعائم قضبان من الشجار المطواعة بيد الإنسان وقد يسموه حصلاً أو حاصلاً، وقد شاهدت البعض منه بأم عيني، وربما بقي الباب الرئيسي الأول للطرفين فيدخلان ويخرجان منه سوية، وربما فتح باب

جديد لأحد الطرفين. هكذا كانت حالة من لا يقدر أن يعمر مسكناً جديداً أو يزيد البيت الساكن فيه شيئاً ما لناحية ما، أما ذوو الطاقة وهم قلة كانوا يبنون من جديد ويسكنون من جديد أو يزيدون بيتهم القديم بعض الشيء ويتقاسمونه بينهم، ومن الشيء المضحك ما كان يفعله بعض الناس في فصل الشتاء خوفاً على أنفسهم وأطفالهم من موجات البرد القاسية، كانوا وأبيك يا صديقي يلجؤون إلى سد نصف الباب أي باب البيت القاطنين فيه من الخارج بأخشاب تجلس على أحد جانبي الباب ثم يوضع عليها غصون من الأشجار التي لا تعرى في الشتاء كالريحان والدفلة وغيرهما، ويستمرون طيلة فصل الشتاء على تلك الحالة يدخلون ويخرجون وما لديهم من نصف باب تقريباً، وليت لي القدرة على رسم ذلك الباب وتصوير منظره هو وغيره مما مر وسيمر ذكره من هذا القبيل لتراه بأم عينك، ولكن أنى لي ذلك وأنا ابن القرية الهميم القديم وكما قلت لك: ليس الخبر كالعيان.

## التطور المدني

قضت سُنَّة التطور على كل ما كان وما ذكرناه من المراحل الأولى كالظلم والرعب والخوف والمصادرة والفقر والجوع والقحط والغلاء والعري وضائقة السكن والأوساخ والعفونة والقمل والبراغيث وغير ذلك أشياء كثيرة من هذا القبيل، وعادت الأرض ومن عليها في طور جديد وخلق جديد وحياة جديدة، وكأن الله سبحانه خلق أرضاً جديدة وأنشأ لها خلقاً غير الخلق الأول صالحاً لتعميرها وبنائها من جديد، وعلى هذا النمط الواقع والطراز الحديث، ولله الإرادة والمشيئة وهو القادر على ما يشاء. وهذا التطور الذي نرمي ونشير إليه مشى أولاً ببطء وذلك بعد أن أديلت دولة الباطل والعدوان الأول دولة الظالمين الغاشمين الأتراك وذهبت مذمومة مدحورة حيث لا رجعة لها إن شاء الله.

وقعت البلاد من جديد في قبضة الفرنسيين فأمسكوها بيد من حديد وألقوها ومن فيها تحت نير الاحتلال الثقيل وبسطوا أيديهم للقبض على كل ثروات البلاد فكان لهم ما شاؤوا، وألقى سلطان بأسهم سيطرته على البلاد بإثرها التي دامت

زهاء عشرين عاماً وأكثر، وقد ساروا على غرار خطة الأتراك تقريباً وجاروهم في بعض الحالات والمواقف لا كلها.

احتلت الدولة الفرنسية البلاد سنة ١٩٢٠م بالعنف وأخذتها بالظلم والجور والعدوان والقهر بعد مجازر كبرى، وأخذت تقتل وتشنق وتحرق وتسجن وتعذب وتنفي حتى استتب لها الأمر فأخذت تمزق وتشرد أبناء البلاد الذين عليهم المعتمد لكي تسرح وتمرح وتسود على القاصي والداني من أبناء البلاد بدون معارض فكان لها ما شاءت وما أرادت، فقضت على الحرية والأحرار الكبار في كل أنحاء البلاد بدون استثناء، واستغلت بعض المواقف واغتنمت الفرص المواتية فأخذت تنهب وتسلب الأموال من طرف خفي وتسرق الآثار القديمة الثمينة وترسلها إلى بلادها والناس في غفلة عن هذا أو بالأحرى في عجز عن دفع ما يجرى لأنهم أصبحوا لا يملكون من أمور بلادهم شيئاً ولا يقدرون على دفع ما يقوم من هذا القبيل في بلادهم على أرضهم وقد أصبحت قادة البلاد وكأنهم عالة على تلك الدولة الغاصبة التي استحلت البلاد ظلماً وعدواناً. وقد أمسكوا لا يملكون لأنفسهم ولا لبلادهم

وأمتهم ضراً ولا نفعاً ولا قليلاً ولا كثيراً. وقد عظم جبروتها واستمد طغيانها بعد أن استقر لها الوضع ففعلت ما فعلت وأغلقت أبواب الحرية في وجه الأحرار الكبار هنا وهناك في أنحاء البلاد بعد أن صبت جام غضبها وسخطها على الكثير من الرجال الذين عرفت أنهم لم تلن شكيمتهم ولم تهن عزيمتهم بينهم وبين أنفسهم ولم يستسلموا طوعاً وعلمت أنهم في باطن الأمر يفكرون ويدبرون ويسعون للنهوض متى سنحت لهم الفرص وواتاهم الحال والوقت وقد دامت تلك الأحوال طويلاً وفي إطار ذلك الدور الشنيع تحركت عزيمة الرجال الأبطال والساسة الكبار والقادة الأحرار سراً ودب دبيب تلك الحركة الوطنية الحرة هنا وهناك في سائر البلاد وسرعان ما تحركت البلاد بأهلها أجمع واشتدت عزيمة الأقوياء والضعفاء فصمموا بكل ما يملكون من قوة وعزيمة على مقاومة الغزاة العتاة ومحاربتهم في كل حدب وصوب من أرض البلاد في الداخل والخارج لأجل إنقاذ البلاد وتخلصها من براثين الجور والظلم والاستبداد. فخرجوا عليهم بقضهم وقضيضهم وثاروا عليهم ثورة قوية عنيفة بدون هوادة وشنوا

عليهم حرب علانية وأخذوا يحاربونهم ويقاتلونهم سهلاً وجبلاً في كل صقع ومكان وقد استمرت تلك الحرب طويلاً وكم كم كبدوهم من الخسائر الباهظة في العتاد والنفوس ولم يزل الكر والفر بين الطرفين حتى كانت الغلبة والنصر لأهل البلاد على أعدائهم الألداء الذين خرجوا من سورية مذمومين مدحورين يحملون على رؤوسهم شعار الذل والخزي إلى الأبد — ولكن الحق يقال إنهم لم يخرجوا من أرضنا جياعاً كما دخلوها ولم تذهب بطونهم خاوية كما كانت خاوية حين استحلوها بل أنهم خرجوا متخمين من ثروات البلاد التي جمعوها مسبقاً وأرسلوها إلى بلادهم وكأنهم كانوا يحسبون لذلك حساباً. فكثيراً ما جمعوا من النقود الذهبية التي كان لها السيادة في معاملات الناس وبعثوها إلى بلادهم وأحلوا محلها العملة الزائفة من أوراقهم الخسيسة وسرقوا أكثر الآثار القديمة الثمينة والجواهر والمعادن التي لا تقدر وأرسلوها كلها إلى بلادهم والناس في غفلة لا بل في عجز عن دفع أو منع ما يجري.

أجل هكذا فعلت وهكذا صنعت فرنسا وبالقوة من البلاد خرجت والفضل في ذلك للوطنيين الأوائل الأحرار الشرفاء الذين ضحوا بدمائهم وأنفسهم (والجود بالنفس أقصى غية الوجود) وجاهدوا وقاوموا وناضلوا ودافعوا بكل ما يملكون من قوة وحرفة لإخراج ذلك العدو الغاصب من بلادهم ودحره عن تراب أرضهم الغالية على قلوبهم وتطهرها من دنس ورجس الاحتلال وتوطيد دعائم الحرية والاستقلال من جديد. فكان لهم ما أرادوا ولكن بعد جهد مرير وكفاح طويل ـ على كل فقد حققوا المقصد وبلغوا المكسب الأبدي للبلاد وأهلها ـ وهل من مكسب أو مغنم في الوجود أثمن وأغلى وأسمى وأعظم من الحرية وهل شيء أجل من الوطن في نظر العاقل الكامل.

من جديد أي من بداية ذلك العهد الجديد أخذت الحرية تتحرك بأهلها نحو الأمام بعد التقهقر الذي عمر طويلاً وعانت منه أبناء البلاد كثيراً. ولكن هذا الدور الجديد تمشى ببطء وسار على هون وأخذت حكام البلاد الجدد يبنون ويشيدون ويرممون ويصلحون ما فسده العدو الغاشم المحتل. وعملوا بكل

ما يملكون من قوة واستطاعة وإمكانيات لتعمير البلاد وسعادة السكان.

بعد ذهاب زينك المستعمرين البغيضين (أي تركيا وفرنسا).

## التطور الصحيح

ذهبت فرنسا حيث لا رجعة ـ وما كان عهدها المشؤوم في الحقيقة بداية هذا التطور الصحيح الذي وصلنا إليه الآن.

أجل كان بداية للتغيير المباين المناقض لأشياء كثيرة كانت في عهد الأتراك. وأهمها أسباب المعيشة والحياة والأخذ والعطاء والسير ببعض الأشياء قدماً نحو الحضارة الإنسانية التي كنا عنها نحن العلويين خاصة بمنأى ومعزل من قديم الزمن.

وقد أزيلت بعض المخاوف (كالمصادرة) والمصاعب (كالجوع) والفقر وغير ذلك مما كان يعانيه الإنسان ويقاسيه في زمن العثمانيين الذين أقصوا العلويين خاصة عن العالم المتمدن بكل معنى من معاني الحياة وأذاقوا أبنائها في كل صقع ومكان الأمرين وألصقوا بها التهم التي ما أنزل الله بها من سلطان ولكم ولكم ضربوها بضربات من قاصمات الظهور

ولكم ولكم ألحقوا بها وصمات وحكايات وترهات وبنوا عليها مشايخهم الذين لا يراعون في دين الله إلا ولا ذمة جل فتاويهم التي مزقت الأمة الإسلامية تمزيقاً ما بعده تمزيقاً وجعلتها فرقاً وقبائل وطوائف ومذاهب متعددة. ولولاها على يقيني لبقي الإسلام على أحسن حال مما هو عليه الآن من الاختلاف الجسيم الواقع بين عموم الطوائف الإسلامية على كثرتهم وتعدد نحلهم ــ أما التغيير البسيط الذي نرمي إليه ونقصده في قولنا هذا كان شبه بداية لتنشق نسيم الحياة التي يعيشها العالم المتمدن في جميع الأقطار الذي كنا عنه في معزل ومنأى من قديم الزمن. وعائد ذلك كله يرجع للأسباب التي ذكرناها والعوامل القاسية التي منينا بها من قبل الأتراك التي قضت علينا وعلى جميع مخلفات أمتنا العلوية القديمة والحديثة في عهدها المشؤوم الذي دام زهاء أربع مائة عاماً ونيف. وعلى غرار خطتهم تقريباً مشت فرنسا في جل الأمور ولا أقول كلها. وقد عانى العلويين وغيرها من بطشها وسخطها ما عانت ولكن لم تلبث طويلاً بالنسبة للتي كانت قبلها (تركيا).

لما انكشفت ظلمات العهدين وانقشعت الغياهب من سماء بلادنا بإزاحة الفرنسيين عن مراكزهم في أرضنا سورية دب دبيب الطموح الفكري والهدى العقلي في النفوس الحية فتحركت العزائم منهم وهب ريح الفكر الفعال نحو التقدم والمشي إلى الأمام لإنقاذ الأمة من جهلها وتحريكها من ثباتها ونشلها من مهاوي الانحطاط التي تعاقبت عليه السنون. فبادروا أولاً بالسعي نحو التعليم أولاً وهو القراءة والكتابة. ولا يخفى أن أبناء جبلنا كلهم كانوا في منأى عن ذلك وأكثرهم كانوا أميين لا يحسنون القراءة ولا الكتابة وكثير من القرى ما كان يوجد فيها أحد يحسن أن يقرأ أدنى ورقة ولا رسالة وكان أهلها إذا جاءهم تبليغ من الدولة أو غير ذلك يضطرون لأخذه إلى قرية أخرى يوجد فيها من يقرأ لهم ويفهمهم المضمون.

بدأت الحركة الأولى نحو التعلم وهي القراءة والكتابة وكانت انتفاضة خيرة نحو التقدم سارعت كل قرية في جبالنا على الأغلب تبحث وتفتش لإيجاد من يحسن القراءة والكتابة وطلبه لأجل تعليم أولادهم الصغار.

وقد كان لتلك الحركة أثرها الكبير. فأصبح في كل قرية على التقريب (خطيباً) أي معلماً يعلم الأولاد الصغار القراءة والكتابة على النحو الموجود آنئذ أي في القرآن الشريف فقط. وكانت والحق يقال بارقة خير أشرقت على أبناء البلاد وثمرة أولى يانعة من ثمرات الحياة الروحية التي طاب جناها وزكى ثمرها في البلاد وفاح أريج عطرها المضواع في كل أنحاء البلاد العلوية وغيرها وكانت النعمة الأولى والمنة الكبرى الذي أتاحها الله للعباد والبلاد. فتعلمت الأكثرية من أبناء هذه الجبال القراءة والكتابة وقد نبغ منهم الكثير وأصبح فيهم ومنهم العالم والشاعر والأديب والخطيب بالنسبة لمستواهم الأول.

وفي أيام تلك المرحلة عمد الكثير من رجالات الشعب الروحيين لفرض حفظ القرآن غيباً من ألفه إلى يائه على بعض أبنائهم الذين يجدون لديهم الإمكانية والموهبة الكافية والقدرة على ذلك. والذين كانوا يغيبون الجزء أو الجزأين أو الربع من القرآن كانوا كثرة. وبعد تلك الخطوة الأولى الكبرى تمشت الحالة وسارت رويداً رويداً وتحركت عزيمة بعض الشباب

فسارعوا مقبلين بكل اهتمام وجد ونشاط نحو اللغة العربية وجنحوا إليها منكبين على دراسة بعض الكتب التي تتعلق بهذا الفن معتمدين على أنفسهم لا على غيرهم بقراءة مصادرها التي حصلوا على بعضها وكانت قليلة جداً وقد ثابروا على ذلك مدة طويلة وعانوا ما عانوا من الجد والكد والجهد وقرأوا وجمعوا واطلعوا على كتب جمة تتعلق بهذا الفن وغيره حتى أصبحوا قادةً يقتدى بهم وأعلاماً كباراً يرجع إليهم يفي هذا الفن وغيره وفي مقدمتهم العلامة الشهير الشيخ سليمان الأحمد الذي كان الطليعة الأولى في النهضة العلمية لأبناء الجبل العلوي عامة. ومن هناك وعن أولئك الرجال تكونت هذه النهضة التي نحن عليها الآن ومن هناك كان بدء الطموح والسعي للأمام ومن هناك تبلج صبح الرقي والتقدم والإسراع نحو العلم ومن هناك بزغت شمس هذا العصر الحاضر الغني بالرجال الأفذاذ في كل الأنواع التي يتبناها ويتقنها العالَم البشري (إلا الاختراع) وعن ذلك حدث ولا حرج.

أقبل الكثير على تعلم اللغة العربية على يد بعض من أشرنا إليهم أولاً وكانت خطوة أولى وقد أعطت نتيجة كبرى و لم

تلبث إلا قليلاً حتى قفزت قفزة سريعة بعيدة المدى في كل مجرى من مجاري الحياة، وكان لها ما شاءت وللسائرين في ركابها ما راموا، وكيف لا ـــ وها قد أصبح بين العالم والكاتب والأديب والشاعر وكل ذلك كان قبل وجود المدارس، على أرضنا وفي بلادنا، ومنها وعنها تألق فجر النهضة الحديثة، فجاءت المدارس الابتدائية أولاً ثم الإعداديات ثم تلتها الثانويات اللاتي طبقن وعممن سائر المراكز والقرى، وعن نتائج ذلك (كما قلنا) (فحدث ولا حرج).

وعلى ما أرى أنه من الصعب وصف وبيان ما أحدثته تلك النهضة المنوه عنها من النفع العام ورفع مستوى الشعب، ولساني مع لسان الواقع بكل احترام وإجلال وتقدير يرددان آية الشكر بكل حرارة لمؤسسي تلك النهضة الأولى التي أوصلتنا لما نحن عليه الآن. قطعنا سلسلة الوقائع والأدوار التي مرت بها أمتنا فلنعد إلى وصلها متحرين الحقائق معتمدين على الصدق.

تحدثنا بإسهاب عن أدوار وأطوار الحياة الوخيمة التي دامت وعمرت طويلاً وعن أشكالها وألوانها وو.. ولم نتكلم

عن الواقع الحالي الذي وصلت إليه أمتنا الحري بالذكر الجدير بالتقدير حقاً لأنه وأبيك يا صديقي في نظري هو الواقع الخير المجيد الذي لم تشاهد أمتنا مثله في جيل من الأجيال ولا في عصر من العصور ولم يمر عليها في دور من الأدوار السالفة وبالأخص أمتنا المستوطنة في هذه الجبال الطويلة العريضة وسواحلها المستطيلة الواسعة، والدور الذي نريد التحدث عنه هو الدور القائم، أجل إن دورنا هذا بدأ بالتغيير الجذري تقريباً لكل الأشياء التي كان عليها العلويين وغيرهما من الحياة المعيشية والأسباب والأنواع ولكل ما كان من سلبيات وإيجابيات تلك العصور الآنفة الذكر، وقد انقلبت الدنيا رأساً على عقب ولكن على خير لا على شر، فقد اندحر سلطان الجور والعدوان وسيطر سلطان العدل والإحسان، مات الفقر وولد الغنى، وانقرض الخوف وعاد الأمن، وذهب الجوع وجاءت التخمة، وانقلعت الأوساخ بجملتها وحلت النظافة بأشكالها وأنواعها، وتغير وتبدل كل شيء كبيراً كان أم صغيراً ولم يبقَ للماضي الوخيم أي أثر لا سلباً ولا إيجاباً، وقد شمل التحسن القاصي والداني، الرفيع والوضيع، الجليل

والحقير، الصغير والكبير، وأصبح الناس سواسية في الحياة المعيشية وغيرها متساوون (كأسنان الحمار) كما قال النبي الأعظمﷺ التي لا يفضل بعضها بعضاً، وهذا شيء مرض وغير مرض (برأيي) مُرضٍ لأنه السعادة الدنيوية التامة، وغير مُرضٍ لأنه مخالف لناموس الخلقة والتكوين ومجرى البشرية، إذ لا يخفى أن التفاضل والتباين موجودان منذ القدم في كل شيء من المخلوقات الحية وغير الحية وخاصة بين الإنسان والإنسان الذي وهبه الله ما وهبه وأعطاه من المميزات اللاتي يمتاز بها على جميع المخلوقات وخوله ما خوله من النعم التي لا تعد ولا تحصى، وعرف كيفية التفاضل والتباين والفارق بين الأشياء المخلوقة، وذلك الإنسان المعني القديم كأنه غير الإنسان الموجود في هذا الزمان، ومن تتبع الماضي ودرس أخباره باستقصاء ولاحظ الحاضر يجد البون شاسعاً بين الإنسان القديم والإنسان الحديث في السلوك والمعاملات وأشياء كثيرة ..

بعد أن تطورت الحياة المعيشية وغيرها مشت الحالة السكنية نحو التقدم شيئاً فشيئاً وانتقلت من مرحلة إلى مرحلة

ولكن ببطء، فبعد البيت الطويل العريض الذي أشرنا ليه سابقاً عمد الإنسان الذي تحسن حاله بعض الشيء إلى بناء غرفة من جديد في داره وعلى جنب بيته استعداداً لاستقبال الضيوف والجلوس بها على حدة بدلاً عن البيت الذي كان ولم يزل مكتظاً بالحوائج والأغراض والمواشي، والبناء يتكون من الحجر والسقف من الخشب، وقد بادر إلى فرشها بالحصر القديمة المصنوعة من قش الذل، أو نوع آخر، وربما تمكن من فرش واجهتها باللباد المصنوع من الصوف المندوف المدلوك، وقد صارت هذه الحالة وتلك الخطوة محط الأنظار وأخذت الغيرة مجراها الحقيقي في النفوس، فغار من غار من ذلك ليكون مماثلاً لغيره وبالأخص لجاره، حتى كادت تلك الخطوة أن تكون عامة ولكنها لم تلبث طويل من الوقت حتى تحولت نحو الأفضل والأحسن بأسرع ما يمكن وقفزت قفزات متتالية، منها أن الإنسان التواق الطموح لما تحسن وضعه بعض الشيء سارع لتغيير غرفته الترابية المشار إليها فبدأ بهدمها من الأساس وشرع ببنائها من جديد بالحجارة والإسمنت وسقفها بالحديد والإسمنت وحسنها وجملها بالنوافذ الطويلة العريضة ولبّسها

بالإسمنت من الداخل والخارج وطلاؤها باللون الجميل الذي يروقه إلى آخر ما هنالك من المستحدثات العمرانية. هكذا مشت الخطوة الأولى نحو التقدم وأخذت دورها على الوجه المرضي، ثم تحولت بعد فترة قصيرة جداً وسارت نحو الأفضل والأكمل حتى بلغت الذروة العليا ووصلت إلى النهاية الكبرى مما هي عليه الآن من الناحية العمرانية.

عرج معي إن شئت أيها الصديق وعُج يمنةً ويسرةً لأريك أو لترى كيف صار الريف الآن، فبعد البيت المظلم المعتم صارت القصور (والعلالي) وبعد البساط الأرضي (على حد تسميته القديمة) صار السجاد والديفونات والكنبايات في كل غرفة أو بيت أو صالون، وبعد (العرزال) الخشبي والحصير واللبد القاسي، كيف انتقل الإنسان إلى التخت الرفاس أو الموبيليا، وبعد السراج الضئيل الأول الذي تحول وقيده من زيت الزيتون إلى زيت الكاز ومنه إلى الفانوس المتعدد النمرات إلى اللكس الساطع الضوء ومنه إلى الكهرباء الباهر المتلألئ الأنوار آناء الليل وأطراف النهار في كل حي وفي كل بلد وفي كل قرية وفي كل شارع وفي كل بيت، حتى أصبح عاماً

شاملاً ـــ ويا لها من نعمةٍ ما أحلها وأجملها وأحلاها وأمرها ـــ وسبحان من يغير ولا يتغير، فبدل السراج الضئيل المار الذكر يصل الإنسان إلى الكهرباء المتوقد الشعاع، ومن الطبخ والغسل على الحطب وعلى (الجلة والقصرينة وبعر الماشية) يصل إلى وقيد الزيت والمازوت ثم إلى وقيد الغاز الذي أصبح أكثر استعمالاً في هذا العصر، وربما سيطر عليه سلطان الكهرباء في وقت قريب إن لم يزاحمه المخزون الشمسي مستقبلاً.



# الفصل الثالث

## مراسلات ومقالات

## الشيخ أحمد إسماعيل

## المراسلات والمقالات

كان الشيخ أحمد إسماعيل تتنّز ممن يسعون إلى توحيد الأمة الإسلامية، لكي تقف بوجه الهجمة الغربية الشرسة، والتي تسعى إلى تفريق الأمة الإسلامية عن طريق تسخير الاختلافات المذهبية لخلق فتن داخلية، فكان الشيخ أحمد إسماعيل تتنّز يتصل بإخوانه من علماء الإمامية موطداً علاقته معهم عن طريق المراسلات العلمية والفقهية التي تمت بينهم، وبالأخص السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي والسيد عباس أبو الحسن الموسوي العاملي والشيخ محمد الحسين آل كاشف، وهذه المراسلات إن دلت على شيء فإنما تدل على الوعي الكبير الذي كان يتمتع به الشيخ أحمد إسماعيل تتنّز، وعلى العلم الغزير الذي يظهر في هذه المراسلات، وقد اخترنا منها ما هو آت.

**أما مقالاته:** فهي عبارة عن مجموعة من المقالات نشرها في مجلة العرفان، تلك المجلة التي اشترك فيها كبار علماء الطائفة العلوية، وعلى رأسهم العلامة الشيخ سليمان الأحمد تتنّز والعلامة الشيخ إبراهيم مرهج تتنّز، والكثير من مشائخ

العلويين في عصر النهضة، وهذه المقالات تبرز مكانة الشيخ أحمد إسماعيل رحمه الله العلمية، ومكانته بين علماء عصره، نحيل القارئ للاطلاع عليها.

## *جواب من السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي على كتاب وجّهه إليه الشيخ أحمد إسماعيل ـ فُقدت مسودته:*

### بسم الله تعالى

ولدي الفذ العبقري الفاضل الشيخ أحمد إسماعيل محمد المحترم، أعزَّك الله بتقواه وبلَّغك الغاية من رضاه، والسلام عليك وعلى سائر إخواننا لديك ورحمة الله وبركاته.

أخذت الآن كتابك العذب السائغ رائق المشرع سائغ المورد فلله أنتم أولياء علي وأبناءه تتخيرون من الأساليب أحسنها مسموعاً وأقربها مفهوماً وأليقها بمنازلها. وهل رأيت أديباً غير شيعي. وإني لأشكر ابتداءك إياي وأسأل الله أن أكون عند ظنكم الحسن. وقد قدرت سؤالك عما جاء في رواية الصغار عن عبد الملك إذ قال: دعا أبو جعفر الباقر عليه السلام بكتاب علي (صلوات الله عليه) فجاء به جعفر عليه السلام مثل فخذ الرجل مطوياً، فإذا فيه: إن النساء ليس لهن من عقار الرجل إذا توفي شيء، فقال أبو جعفر: هذا والله خط علي (صلوات الله عليه) وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله، قلت: المرأة عندنا ــ نحن

الإمامية ــ لا ترث من عقار زوجها شيئاً، والعقار هو الأرض، وحجتنا على ذلك حديث الصغار الذي هو موضوع سؤالكم، ولعل الحكمة في حرمانها من خصوص الأرض إنما ه الحيطة من وقوع الشقاق، إذ لو ورثت المرأة من أرض زوجها ثم تزوجت لجاءت بزوجها الثاني إلى دار زوجها الميت أو بستانه أو دكانه، وفي ذلك عنتٌ على أرحام زوجها الأول وأصدقائه يستوجب الشقاق بينهم وبين زوجها الثاني وأرحامه وذويه، فحسماً لهذه الفتنة ما جعل الله للمرأة نصيباً في أرض زوجها إذا مات عنها. نعم إذا كانت الأرض مشغولة ببناء أو شجر كان لها نصيبها المفروض لها ثمن البناء والشجر لا من عينه. وهذا ما يؤكد كون الحكمة ما ذكرناه. والله تعالى أعلم.

**صور /٢٨ ربيع الثاني/ ١٣٦٥**

**عبد الحسين شرف الدين الموسوي**

***كتاب من الشيخ أحمد إسماعيل إلى السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي:***

**بسم الله**

حجتنا الأكبر وثقتنا المعظم السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي دامت بوارق شموس مجده ساطعة في سماء العروبة، نحييكم تحية الدين الخالص والإيمان الثابت والولاية الصادقة، وبكل إجلال وإكبار أقبل يديك وألتمس دعاءك المبرور وأستميح رضاكم وأسأله تعالى لكم دوام الصحة وحسن العافية والفوز في الفانية والباقية وأن يبقيكم لنا ذخراً ولتمحيص الحقائق عوناً ولحوزة الدين حامياً، وبعد:

لما أعلمه من صفاء نيتكم ونقاوة ضميركم وكرم أخلاقكم وحسن إخلاصكم وحنوكم الأبوي على أبناء هذا الجبل العلوي خاصة وعلى أهل الولاية أجمع من أبناء هذا الجيل أدلي إليك بمسائل يغرب عني وجوهها وأنت والحمد لله المرجع الأعلى وعنك يؤخذ وبك يُقتدى:

**الأولى**: يوجد في بلادنا ولد معه داء السكري على ما قيل، وقد عرض على الأطباء لأجل الختان، فلما فحصوه أبوا عن

تطهيره خشية عليه، فهل يجوز أن يبقى الولد بدون ختان؟ وهل إذا بقي يكون نقص في إسلاميته أم لا ؟

**الثانية:** هل يجوز زواج النساء اللواتي ذهب أزواجهن إلى المهجر من أمدٍ بعيد ولم يوصلهن بشيء من الماديات التي تكفل معيشتهن وقد انقطعت بهن الحيل الزواج بدون طلاق أم لا؟

**الثالثة:** رجل تزوج امرأة بعقد صحيح وبقي الزوجان مع بعضهما مدة، وبعد حصل بينهما نشوز فذهبت المرأة إلى بيت أهلها وبقيت فيه مدة تربو على السنة، وقد استرضاها الزوج خلال هذه المدة أكثر من مرة فما رضيت وآبت عن الرجوع لعنده، وبعد حضر لدى أهلها أشباه المشايخ فعرض أهلها عليهم مسألتها فأفتوهم وأحلوا لهم زواجها بزوجٍ آخر بدون طلاق من الزوج الأول، وبالحال أجروا ما يسمونه عقداً وزوجوها بزوج جديد بدون مبالاة بأحد ولا شرع، ولم يشعر الكل بخطئهم هذا وجرأتهم على الدين والشرع الشريف، ولكن بعد انتشار الخبر أطلق عليهم المجموع الخرمانية وسفه عملهم المشؤوم، وقد بقي الكل في حيرة دهماء

وداجية طخياء، ولما صغرت قيمتهم وسقطت حرمتهم لدى العموم لجأوا إلى الاعتراف بالخطأ والرضوخ للقيام بما يوجبه الشرع الشريف، لذلك جئنا غليكم بكتابنا هذا راجين الجواب عليه وبيان ما يجب على الكل من المشايخ والأهل والزوجة وما يحق للزوج الأول لأن في بلادنا عادة مستهجنة جداً وأظنها لا تخفاكم وهي المهور التي يأخذها أهل العروس من العريس، لذلك قلنا لكم: وما يحق للزوج الأول. أفتونا مأجورين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته مولانا.

١٧/رجب/١٣٦٧ أحمد إسماعيل (الرقمة)

## جواب السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي

### بسم الله

ولدنا الأبر الأعز النبيل الشيخ أحمد إسماعيل الفذ أعزك الله بعزه الذي لا يضام وعصمك من طوارق الليالي وبوائق الأيام، وسلام وتحية يليقان بأخلاقك الذكية، ودعاء وثناء وعواطف تعرفها من نفسك، ورحمة الله وبركاته عليك وعلى من إليك من أصفياء وأبناء وإخوان لك في الله تعالى.

وافانا كتابك الكريم فقرأتك فيه حراً براً وفياً حمياً، فالحمد لله على ما أولاك من الكرامة والسلامة.

سألتني فقلت: يوجد في بلادنا ولد معه داء السكري، وقد عرض على الأطباء لأجل الختان، فلما فحصوه أبوا عن تطهيره خشية عليه، فهل يجوز أن يبقى بدون ختان؟ وهل إذا بقي يكون نقص في إسلاميته أم لا ؟

**والجواب**: نعم يجوز ذلك مع خوف الضرر، ولا يكون بقاؤه غير مختون نقصاً في إسلامه بلا ريب، والضرورات تبيح المحظورات ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾[١].

وسألت ثانياً فقلت: هل يحل للنساء اللواتي ذهب أزواجهن إلى المهجر من أمدٍ بعيد ولم يوصلهن بشيء من الماديات التي تكفل لهن عيشهن وقد انقطعت بهن الحيل الزواج بدون طلاق أم لا؟

**والجواب**: لا يحل زواج بدون طلاق مهما طالت المدة، ومهما انقطعت بهن الحيل، نعم للمجتهد الجامع لشرائط النيابة

---

(١) ( الحج : ٧٨ )

العامة عن الإمام المعصوم ـــ أرواحنا فداؤه ـــ أن يخير أزواجهن بين الإنفاق عليهن وطلاقهن، وينذرهن بطلاقهن (عملاً بالولاية) إن أبوا كلام الأمرين، فإن فعل الأزواج أحد الأمرين ـــ الإنفاق أو الطلاق ـــ فيها وإلا فللمجتهد أن يطلقهن بولايته وإن لم يرضَ أزواجهن، ولهن بعد الطلاق وخروجهن من العدة أن يتزوجن بمن شئن من أكفائهن المسلمين.

وقلت في المسألة الثالثة: رجل تزوج امرأة بعقد صحيح وبقي الزوجان مع بعضهما مدة، وبعد حصل بينهما نشوز فذهبت المرأة إلى بيت أهلها وبقيت فيه مدة تربو على السنة، وقد استرضاها الزوج خلال هذه المدة أكثر من مرة فما رضيت وآبت عن الرجوع لعنده، وبعد حضر لدى أهلها أشباه المشايخ فعرض أهلها عليهم مسألتها فأفتوهم وأحلوا لهم زواجها بزوجٍ آخر بدون طلاق من الزوج الأول، وبالحال أجروا ما يسمونه عقداً وزوجوها بزوج جديد بدون مبالاة بأحد ولا شرع، ولم يشعر الكل بخطئهم هذا وجرأتهم على الدين والشرع الشريف، ولكن بعد انتشار الخبر أطلق عليهم

المجموع الحرمانية وسفه عملهم المشؤوم، وقد بقي الكل في حيرة دهماء وداجية طخياء، ولما صغرت قيمتهم وسقطت حرمتهم لدى العموم لجأوا إلى الاعتراف بالخطأ والرضوخ للقيام بما يوجبه الشرع الشريف، لذلك جئنا غليكم بكتابنا هذا راجين الجواب عليه وبيان ما يجب على الكل من المشايخ والأهل والزوجة وما يحق للزوج الأول لأن في بلادنا عادة مستهجنة جداً وأظنها لا تخفاكم وهي المهور التي يأخذها أهل العروس من العريس، لذلك قلنا لكم: وما يحق للزوج الأول. أفتونا مأجورين.

والجواب: أما أشباه المشايخ فالواجب عليهم أن يتوبوا إلى الله عن الفتوى، وأن يعلموا أنهم ليسوا من أهلها، وأنه يحرُم عليهم أن يقصدوا لشيء منها، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1].

وأما أهل الزوجة فالواجب عليهم أن يتوبوا من الرجوع في الدين إلى هؤلاء الجهال الذين لا يفقهون عملاً بقوله تعالى:

---

(١) ( المائدة : ٤٥ )

﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[1]. ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[2].

وأما الزوجة فالواجب عليها أن تتوب من هذه الخطيئة، ولتعلم أنها لا تزال في عصمة الرجل الأول حتى يطلقها، وإن عقدها على الرجل الثاني باطل لا أثر له إلا تحريمها عليه إن كان قد دخل بها، والحرمة هنا مع الدخول مؤبدة بحيث لو طلقها زوجها الشرعي أعني الأول أو مات فليس للثاني أن يتزوجها وليس لها أن تتزوجه بوجه من الوجوه أبداً.

وأما زوجها الأول فله الخيار بين بقائها في عصمته أو طلاقها، فإن اختار بقاءها فلا يجامعها مع دخول الثاني بها حتى يستبرئ رحمها بثلاث حيضات (عدة وطئ الشبهة) وله أن لا يطلقها حتى تبذل له ما أُخذ منه مهراً لها، ونعمَ ما قلت من أخذ أهل العروس للمهر أنه من العادات المستهجنة الظالمة،

---

(1) ( النحل : ٤٣ ، الأنبياء : ٧ )

(2) ( النساء : ٨٣ )

فإن المهر من حقوق العروس خاصة لا يسوغ لأحد من أهلها شيء منه إلا بطيب نفسها، ولا تبرأ ذمة الزوج من المهر بدفعه لأهلها إلا أن يكون ذلك صادراً عن أمرها مختارة غير مضطرة، هدانا الله إلى سواء السبيل فإنه حسبنا ونعم الوكيل.

**صور ٢٧/رجب/١٣٦٧ عبد الحسين شرف الدين الموسوي**

***كتاب من الشيخ أحمد إسماعيل إلى الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء القاطن في النجف الأشرف :***

**بسم الله**

حجة الأمة ووارث الأئمة مولانا الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء أبقاه الله للأمة ذخراً وللدين حصناً وللعروبة حرزاً.

سلام تتعطر بشذاه النفوس ويعبق أريج عبيره بالأنوف ورحمة الله وبركاته على تلك النفس القدسية وعلى اللائذين بها من أهل الولاية الصادقة.

اكتب لكم عن فؤاد مفعم بالإخلاص والتجلّة والإكبار التماساً لصالح أدعيتكم المقدسة ما قولكم مولانا وسيدنا في

حقيقة غيبة محمد بن حسن الحجة ثاني عشر الأئمة صلوات الله عليهم؟ وأين كانت؟ وكيف يكون ظهوره؟ فإن الأقوال بذلك متضاربة والأحاديث مختلفة وأنت الثقة الكبرى والمرجع الأعلى وقولك الحق وما بعد الحق إلا الضلال. ثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت في الحياة والدنيا والآخرة ونسأله تعالى أن يقرب لنا الفرج الأكبر بظهور ذلك المؤمل المنتظر وأن يجمعنا وإياكم تحت لواء رحمته في دار كرامته.

وإليك ما لفت نظري أثناء مطالعاتي ووقفت عنده، وهو ما جاء في مسلك الأفهام لمؤلفه العلامة المحقق المدقق محمد بن علي بن جمهور ص/١٧٢/ في تأويل آية الأمانة ما هذا لفظه: قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً** ﴾[(١)]. فإنه دال على جامعيته واستعداده وقابليته لنيابته وخلافته وطاهريته ومطهريته لأن السموات والأرض مع عظمتهما خافوا وعجزوا عن حمل

---

(١) ( الأحزاب : ٧٢ )

أمانته وهو حملها وأدى حقها، وما حصل من حملها لا خوف ولا عجز، فكيف لا يكون أعظم وأشرف، والأمانة عند المحققين هي الخلافة لعدم اشتراك الغير مع الإنسان فيها، والغرض الاطلاع على استعداده وقابليته واستحقاقه وقبول تلك الأمانة وحملها والظلومية والجهولية مدح له غاية المدح فإنه بها صار مستحقاً للأمانة ومستعداً لحملها، لا كما توهم الجاهل أنه مذمة، فليس هناك نسخة كاملة إلهية غيره. اه.

فهل ينطبق هذا التأويل كل الانطباق ويحسن هذا التفسير كل الإحسان؟ فلقد قرأت عدة من التفاسير لعلماء الطائفتين الشيعة والسنة فلم أجد ما يلائم هذا التأويل لهذه الآية الكريمة لا بل كل ما رأيته بالعكس. فما قولكم دام فضلكم؟ والسلام عليكم يوم ولدت ويوم تموت ويوم تبعث حياً، مولانا.

**١٨/ربيع الثاني/١٣٦٦** **أحمد إسماعيل (الرقمة)**

## جواب الشيخ محمد الحسين آل كاشف

من النجف الأشرف ٢٣/ربيع٢ /٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم     وله الحمد

إلى الأديب النجيب نبعة الكمال ونجعة الفضيلة وغرس الولاية والهداية أحمد إسماعيل حفظه الله. سلامٌ عاطر وتحيات مباركة زاكية.

وردنا كتابك العزيز تسأل عن غيبة ولي الله وبقيته في أرضه أرواحنا فداه وعجّل الله فرجه، وأين كانت وكيف يكون ظهوره، وما هي العلامات لظهوره، إلى آخر ما أفضت فيه أيدكَ الله وسددكَ. وهذا سؤال بظاهره بسيط وفي باطنه دقيق وعميق، وقد أشبعه الأصحاب رضوان الله عليهم بحثاً في مؤلفاتهم الشهيرة والكثيرة، وإذا أردنا الجمع بين الأخبار المختلفة والأقوال المتضاربة احتجنا إلى مؤلف واسع وفراغ أوسع، وبأيها أخذت من باب التسليم وسعك، وهي من أسرار آل محمد صلوات الله عليهم، والحقيقة فيها لا تدرَك، والالتزام بها على طياتها أسلم وأقوم.

أما ما نقلتم عن مسلك الأفهام في تفسير آية الأمانة فهو غريب حيث جعل الظلوم والجهول مدحا به غاية المدح، وبها استحق الخلافة، وذا معنى لم يوافقه عليه أكثر المفسرين حسبما وقفت عليه، ولعله يريد حمل الظلومية على المظلومة، والجهولية أي مجهولية القدر، وهو خلاف الاستعمالات العربية، وربما يستعمل فاعل بمعنى مفعول نادراً، ومهما كان فإن الآية من المتشابهات وفيها وجوه واحتمالات أظهرها وأشهرها أن الأمانة العقل الذي مناط التكليف، وبحمل المسؤولية إلى آخر ما لا يتسع المقام لبسطه والإحاطة بأطرافه لضيق المجال وتراكم الأشغال وضعف القوى. وهناك وجه آخر للأمانة وهو الخلافة والإمامة، وهو أيضاً مشهور، وهو الذي أشار إليه مسلك الأفهام ولكن المراد بالإنسان حينئذ هو فلان الذي يقول عنه تعالى: ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[1] وهو فلان الذي يقول عن صاحبه: ﴿ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ

---

(١) ( إبراهيم : ٣٤ )

فُلَاناً خَلِيلاً ۝ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ ﴾[1]، وهو ظلومٌ لغصب الخلافة، وجهولٌ بفظاعة هذا الظلم.

وفي الختام أعيد لك أسنى التحية والسلام، والله يحفظك ويرعاك بدعاء الأب الروحي.

**محمد الحسين آل كاشف الغطاء**

***كتاب موجه من الشيخ أحمد إسماعيل إلى السيد عباس أبي الحسن الموسوي العاملي:***

**بسم الله**

أخي في الله وصنوي في دوحة الله السيد أبو الحسن الموسوي العاملي الأكرم سلامة لك وسلام عليك ورحمة الله وبركاته من وراء هذه الجبال الشامخة الذرى والبلاد القاصية المدى أمد يدي وأبسط كفي لمصافحة يديك الكريمتين.

وبعد: لقد قرأت ما فاضت به قريحتكم الوقادة ودبجه قلمكم السيال على صفحات (العرفان) في الجزء السابع من

---

(١) (الفرقان: ٢٨، ٢٩)

المجلد الخامس والثلاثين من باب المراسلة والمناظرة صفحة (١٠٩٩) في الجواب عن السؤال الذي وجه للأستاذ العارف عن النجم الذي هوى لدار علي (ع) وقد أفضت في الجواب على هذا السؤال بما يشفي العليل ويروي الغليل ــ فحياك الله وبياك ــ ألا وأبيك لقد قرأت ما كتبته بكل ابتهاج وسرور ورددت الطرف وأجلت الفكر فيه وأنا من المعجبين بسعة اطلاعكم وقوة سندكم. ولا يخفاكم وأنتم أحوط علماً بأن بعض المغرضين من أعداء آل البيت الطاهرين يعدون ذلك من الاختلاقات الملفقة والأكاذيب المحضة ــ وحاش لله ــ أن يكون ذلك بل هو الحق والقول الصدق. وما بعد الحق إلا الضلال ــ ولبئس ما قالوا وما فعلوا مع آل بيت الرحمة صلوات الله عليهم. ولله أنتم فرع تلك الشجرة الطاهر وغرس الولاية المنبثق ــ وقد قرأتك من خلال هذه الدرة الثمينة التي أتحفت بها قراء (العرفان) أميناً على أسرار آل محمد صلوات الله عليهم. صادق اللهجة ثابت العزيمة قوي الإرادة طويل الأناة رزين الحصاة. فرغبت أن تكون لي بكم صلة وثيقة كما لنا مع غيركم من الأعلام النجفيين والعاملين وغيرهم من

وفي قصيدته /**لا خلاص إلا بالعفو**/ يؤكد استحالة خلاص المؤمن بغير عفو الرحمن، وهذا ما تؤكده أحاديث وروايات المعصومين، قال أمير المؤمنين/ع/: « **اللهمّ احملني على عفوك ولا تحملني على عدلك**» ومحصّله أنّ منتهى العفو الكرم والثواب، ومقتضى العدل الإلهي المؤاخذة والعقاب، فسأل الله تعالى أن يعامله بعفوه ولا يعامله بعدله، نظير ما ورد في دعاء آخر: « **اللهمّ عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك**»:

**أرى الدنيا ومـا فيهـا خليطـا مزيجـاً شـاءه المـولى تعـالى**
**وما للعبـد فيهـا مـن خـلاص بغير العفـو مهمـا الـدهر طـالا**
**ومن يبغي الخـلاص بغـير عفـو مـن الـرحمن قـد يبغـي المحـالا**

وفي قصيدته /**حب آل محمد**/ يبين عقيدته في أهل البيت عليهم السلام وأنهم سفينة النجاة من ركب بها نجا ومن تخلف عنها غرق، وأنهم باب حطة من دخله كان آمناً، وأنهم النجوم التي يُهتدى بها، وأن حبهم إيمان وبغضهم نفاق، فهم شجرة النبوة وبيت الرحمة ومفتاح الحكمة ومعدن العلم وحرم الله الأكبر وبيت الله العتيق وحرمه، ومحبهم في الجنة، ومبغضهم في النار، إلى





الشيخ حيدر عمران الدكتور علي الأحمد الشيخ عبد الهادي حيدر الفيلسوف ك م معروف





الشيخ أحمد سعلا غانم بيت عليان



الشيخ صالح العلي



الشيخ [illegible] الكريم محمد المصيطفة



الشيخ كامل الخطيب - جيبول



الشيخ كامل صالح معروف - بيت الشيخ نبي



الشيخ عبد اللطيف ابراهيم - صافيتا



الشيخ يونس حمدان الطواحين



الشيخ عبد الهادي حيدر - ابو قيس - والشيخ حيدر محمد - بيت ياشوط



الشيخ حسين سعود والشيخ احمد ابراهيم الريحانه



الشيخ حيدر عبود

الشيخ احمد [illegible] الرقمة



الشيخ شعبان منصور - السقلبة



توزيع مكتبة شاشر

سوريا - طرطوس
هاتف : ٣١٩٧٨٠
٣١٩٧٨١
٣١٩٧٨٢
فاكس : ٣١٩٧٧٧
جوال : ٠٩٥٥٣١٩٧٧٧